مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: *العلوم التربوية*، م١٦ ص ص: ٩٥ - ١٩١ (٢٠٠٣م/١٤٢٣هـ)

الإمام الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري وجهوده العلمية والفقهية (١١٩٠هـ تقريباً ـ ١٢٥٧هـ)

سائد محمد محي بكداش

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية بالمدينة المنورة ـ فرع جامعة الملك عبدالعزيز- المملكة العربية السعودية

المستخلص. يَطّلُعُ علينا هذا البحث بدراسة حافلة مشرقة عن الحياة العلمية والعملية لعلم من أعلام المدينة المنورة، وهو الإمام المقرئ المفسر الحافظ المحدث المسنِد، الفقيه الأصولي، اللغوي، الطبيب الحاذق الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري الأيوبي رحمه الله ، المولود في السند سنة ١١٩٠هـ تقريباً، والمتوفي بالمدينة المنورة سنة ١٢٥٧هـ رحمه الله تعالى، والذي كان رئيساً لعلماء المدينة المنورة في عصره.

وفي البحث بيانٌ لنَسَبِه وحَسَبِه وأشهر شيوخه وتلاميذه، مع ذكر رحلاته العلمية ، ونماذج من نشاطه العلمي الفريد، وجملة من كريم أخلاقه، ونبيل خلاله، وبعض ثناءات العلماء عليه.

كما ضمَّ البحث بياناً لجهوده الفقهيه بشكل خاص، مع ذكر منهجه الفقهي، ثم بياناً لجهوده في التفسير والحديث واللغة والطب وغيرها من العلوم.

وتَّم التعرف فيه على مصنفاته الكثيرة العظيمة، وبالأخص الفقهية منها، والتي كان من أبرزها كتاب" طوالع الأنوار شرح الدر المختار" في الفقه الحنفي، الذي بلغ حجمه عشرة آلاف ورقة مخطوطة، أي ما يعادل أكثر من ستين مجلداً مطبوعاً، مع دراسة فقهية خاصة عن هذا الكتاب، وعن كتابَيْه الآخرين: شرح مسند الإمام أبي حنيفة، وشرح مسند الإمام الشافعي رحمهم الله جميعاً.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد:

فإن بلاد السند- وهي من بلاد باكستان اليوم- من البلاد السعيدة التي هبّت عليها نفحة الإسلام في أواخر القرن الأول من الهجرة(١)، فنَعِم به أهلها وسعدوا، ونبغ فيها نوابغ من العلماء الأعلام، شاركوا في خدمة الدين والعلم بنصيب وافر في مختلف العلوم وفنونها.

وهكذا برز فيها من أهل العلم القدامى طائفة من كبار المحدثين، ومن رواة الأحاديث(٢)، وامتدت مآثر هؤلاء الأسلاف السنديين في أعقابهم إلى القرن الثاني عشر الهجري، ففيه كثُر العلماء والمتعلّمون في السند كثرة بالغة، وظهر من جمهور علمائها المتأخرين جمهرة عُرفوا بالعلم والتحقيق والفقه والحديث، في مختلف الأصقاع شرقاً وغرباً، عُجماً وعرباً. مثلُ الإمام المحدِّث الفقيه الحنفي الشيخ أبي الحسن السندي الكبير نور الدين محمد بن عبدالهادي، صاحب

---

(١) ينظر معجم *البلدان* ٢٦٧/٣.

(٢) ينظر سير *أعلام النبلاء* ٧.

الحواشي على الكتب الحديثية الستة، المتوفي بالمدينة المنورة سنة ١١٣٨هـ (١) رحمه الله تعالى.

ومثل العلامة المحدِّث الفقيه الحنفي الشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي، تلميذ أبي الحسن السندي الكبير، المتوفي بالمدينة المنورة سنة ١١٦٣ هـ (٢)، رحمه الله تعالى.

ومثل العلامة المحدِّث الفقيه الحنفي الشيخ أبي الحسن السندي الصغير محمد بن صادق تلميذ أبي السندي الكبير ومحمد حياة السندي، المتوفي بالمدينة المنورة سنة ١١٨٧هـ (٣) رحمه الله تعالى.

وكان من أبرز وأعلم من ظهر من علماء السند المحدثين والفقهاء المتأخرين: وحيدُ دهره، وفريد عصره، مَن رقى أعلى ذِروة الكمال، الإمام الزاهد الورع القدوة، مَن رَفَعَ الله به العلم ومناره، العالم العامل، المفنّن في جميع العلوم، بدر الدين المقرئ المفسِّر محيي السّنّة وعلومها، المحدث الحافظ الحجة، القاضي الفقيه الحنفي الأصولي، المتبحّر الفطن، النحوي المؤرِّخ، النظار السابق، الطبيب الحاذق، الشيخ محمد عابد ابن العلامة الشيخ أحمد علي ابن القاضي الواعظ شيخ الإسلام محمد مراد السندي الأيوبي الأنصاري الخزرجي، من أحفاد الصحابي الجليل سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

---

(١) له ترجمة في *نزهة رياض الإجازة* ص١٤٤، *سلك الدرر* ٤/٦٦، *الأعلام* ٢٥٣.

(٢) له ترجمة في *نزهة رياض الإجازة* ص١٤٥، *سلك الدرر* ٤/٣٤، *الأعلام* ٦/١١١.

(٣) له ترجمة في *نزهة رياض الإجازة* ص٢٦٠، *النَّفس اليماني* ص١٨٤، الأعلام ٦/ ١٦٠، وهناك اختلاف في اسمه، والصواب ما ذكره الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري في حصر الشارد (مخطوط من نسخته التي هي بخط يده في المحمودية) أن اسمه محمد بن الشيخ جمال الدين بن الشيخ عبدالواسع.

سلسل الكرام في الشرف والنسب، والعلم والفضل والخُلق والأدب، بقية السلف وغُرَّة الخلف محطُّ الرّجال الأعلام، ومن تُجمّل به مواقِف العظام، مَن كانت مفاخره حديثَ الناس في حياته، وسمرهم بعد مماته.

وُلد الإمام الشيخ عابد السندي الأنصاري في بلاد السند، في حدود سنة ١١٩٠هـ، ولذا نُسب إليها، ثم رَحل من السند- وهو صغيرٌ في مقتبل عمره- إلى الحرمين الشريفين بصحبه أبيه وعمه، مع عميد أسرتهم: جَدِّه شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري، وكان قرارهم في مدينة جُدّة، حيث كان لجدّه مدرسة ورباط ومكتبة عظيمة، ونشاط كبير في نشر العلم، ونفع الناس، وكان قد وقف له ذلك وزير جدة آنذاك (ريحان الوزير).

وقد نشأ الشيخ محمد عابد، وترعرع في مدينة جُدة، وكان يتنقل بينها وبين مكة والطائف والمدينة المنورة بحثاً عن العلم والعلماء، وبعد وفاة جده ووالده رحمهما الله تعالى، رَحَل مع عمه العلامة الشيخ محمد حسين السندي الأنصاري إلى اليمن، وكان الشيخ محمد عابد قد بلغ مبلغ العلماء الكبار، فأقام في اليمن مدة طويلة بلغت أكثر من ثلاثين سنة، قام خلالها بالعلم ونشره حقّ القيام، وطاف غالب البلاد والآفاق طلباً للعلم وأهله.

ثم استقر به المطاف في الربع الأخير من عمره في المدينة المنورة رئيساً لعلمائها، ناشراً للعلم في ربُوعها، محيياً للسنة المطهرة في جَنَباتها، فكان يُقرئ الكتب الحديثية الستة في حَرِمَها الشريف رواية في كل شهر، ودراية في كل ستة أشهر، مع إقرائه للفقه والتفسير وغيرها من العلوم.

كما خلّف ثروةً كبيرة من مؤلفاته العظيمة الضخمة الفخمة في فنون متنوعة، ووقف مكتبته الغزيرة النادرة على المكتبة المحمودية في المدينة المنورة.

وبعد عمر عامر بالعلم والتعليم، والعبادة والصلاح، نال ما كان يصبو إليه، ويدعو به كثيراً، فكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة ١٢٥٧هـ ، قرير العين بها،

ودُفن في البقيع، رحمه الله تعالى، وأعلى مقامه مع الأنبياء والصديقين والشهداء الصالحين.

هذا، وإن الإمام الشيخ محمد عابد السندي كنْزٌ عظيم مَخْفي، لم يُعرف عند الأغلب في هذا الزمن ولم يُشتهر، مع أنه كان في زمانه القريب العهد كالبدر الطالع والضوء اللامع، وما كان لهذا البدر المنير أن ينْخَسِف، ولا لهذا الضوء الساطع أن ينكسف، بما خلَّد الله له من لسان صدق في الآخرين، وذكر حسن عند العلماء العارفين، وبما أبقى الله له من مفاخر ومآثر وثناء، ومحامد شمّاء، كانت حديث إكبار لمن بعده، قلّما يجود الزمان بمثلها.

ولقد أكرمني الله تعالى بالاطلاع على كثير من سيرة هذا الإمام العظيم العلمية والعملية – وسَعِدتُ بذلك أيما سعادة – حيث عشت مدة من الزمن بين مؤلفاته المخطوطة الكثيرة، وبين كتب مكتبته الخاصة، ووقفت على شيء كثير من أخباره الزكية، وسيرته العطرة، وكنت يوما بعد يوم أزداد عجباً وإعجاباً بهذا الإمام الفذّ، وما أودع الله تعالى فيه، وما فتح به عليه، حتى اطمأن قلبي تماما إلى أنه رحمة من رحمات الله تعالى أهداها لعباده، وحجة أقامها الله على الناس في عصره، حيث يهيئ الله تعالى في كل زمان ومكان مَن يحفظ على هذه الأمة دينها وشريعتها.

وهكذا حمدت الله تعالى كثيراً على ما وفّقني إليه من صحبة هذا العلم المفرد في زمانه، والتي أطلعتني على شيء مما مَنَّ الله تعالى به عليه، وما أعدّه فيه وما أمدّه، من أدب وخُلُق وفضائل حميدة وخصال مجيدة، ونُبوغ وسعة في العلوم، ودقة وتمحيص فيها، ونَفَسٍ علمي طويل جداً، حتى بلغ حجم كتاب واحد من *كتبه* عشرة آلاف ورقة مخطوطة، أي عشرين ألف صفحة، بما يعادل حوالي ستين مجلداً من مجلدات مطبوعاتنا المعاصرة، وهو كتاب "*طوالع الأنوار شرح الدر المختار*" في فقه الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى.

هذا الكتاب هو الذي لَفتَ نظري نحو الشيخ محمد عابد؛ وكان السبب الأول لدراسة حياة هذا الإمام العلمية والعملية، مع ما ظهر من عَبَق وطيْب سيرة مؤلّفه، وجلالة قدره، وعظيم مكانته.

وهنا وجدت أن من الواجبات العينية عليّ أن أعرّف بمفاخر ومآثر هذا الإمام، حجة الله على عباده في هذه الأزمان المتأخرة، وأن أُظهر هذا الكنز العظيم وما حوى؛ إذ هذا الواجب حقّ عظيم على الأمة عامة تجاه علمائها وأئمتها، تقديراً لهم، وعرفاناً لجميلهم، وإسداء إليهمْ بعض ما يستحقونه من الذكر الحسن على ما قدموه وبذلوه، وتعريفاً لمن بعدهم بذلك.

ويتحتّم هذا الواجب أكثر على أهل العلم بالمدينة المنورة خاصة، حتى يحفظوا على هذه البلدة الطيبة أعلامها وعلماءها، فينشروا كنوزها ومخبّآتها، ويعرِّفوا العالَم بها، حيث إن الإمام الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري كان في عصره رئيس علماء المدينة المنورة، ومحيي السنة الغرّاء في ربوعها، وهو سليل ذوي الكرم والنصرة فيها أنصار رسول الله ﷺ.

وعسى بفضلٍ من الله أن أكون قد وُفّقت لسدّ هذه الثغرة، ولأداء هذا الحق الواجب نحو هذا الإمام العظيم، بكتابة هذه الصفحات في التعريف به وبجهوده العلمية العظيمة، وبخاصة الفقهية منها.

وهكذا، فإن الوقوف على ترجمة هذا الإمام، والاطلاع على ما ترك من ثروة علمية عظيمة، مع التعرّف على حقيقة كتبه وموضوعاتها المهمة، ومكان وجودها، يكون ذلك دافعاً وحافزاً لأهل العلم على إحياء هذا التراث العظيم، الذي لم يُنشر منه إلا النزر اليسير.

* **أما عن سير عملي في ترجمته**، وذكر جهوده العلمية عامة والفقهية خاصة، فقد بذلت جهدي في تتبع أخبار هذا الإمام، والتعرف على أصله وحسبه ونسبه وشخصيته، والوقوف على أخلاقه وشمائله، وثناءات العلماء عليه،

ورحلاته وغير هذا، وذلك فيما كتبه المترجمون له من معاصريه فمَن بعدهم، في المطبوع والمخطوط مما يسر الله تعالى الوقوف عليه، كمنا وقفت على أخبار كثيرة عنه وعن أسرته من خلال مطالعاتي في مخطوطات مؤلفاته وكُتبه التي وقفها على المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، وما كُتب عليها من تقاريظ وثناءات للعلماء.

أما شيوخه وتلاميذه فتتبعت أسماءهم في ثَبته: (حصر الشارد)، وفيما وقفت عليه من إجازاته المخطوطة لتلاميذه، وما ذكره مترجموه منهم.

وعن جهوده العلمية في التأليف، فقد بذلتُ وسعي في الوصول إلى مؤلفاته، والسعي للوقوف عليها هنا وهناك، وقمتُ بالتعريف بها من خلال الاطلاع عليها، مع ذكر أهمية الكتاب، ووصفه وبيان حجمه، ومكان وجوده، تيسيراً للوقوف عليها والاستفادة منها.

كما بيّنت المنهج الفقهي الذي سار عليه الشيخ محمد عابد من خلال مطالعة كتبه الفقهية والحديث وغيرهما، وتبين لي أنه كان حنفي المذهب يهتم بالأدلة كثيراً، ولكن له اختيارات وخروجات عن المذهب الحنفي بحسب ما يترجحّ لديه من أدلة.

وهكذا بعد هذا المقدمة جعلت مسار البحث محدّداً ببابين: الأول منهما خاص بالتعريف بالشيخ محمد عابد، والثاني عن العلوم التي برع فيها، ومصنفاته وآثاره الفقهية وغيرها، وفي كل من البابين عدة فصول.

الباب الأول: التعريف بالشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، وفيه فصلان.

الفصل الأول: عن شخصية الشيخ محمد عابد، وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: ولادته وزواجه وذريته ووفاته.

المبحث الثالث: أخلاق الشيخ محمد عابد وخصاله.

المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه، ومكانته بينهم، والمناصب الرفيعة التي تولاها.

الفصل الثاني: نشأته العلمية ورحلاته، وذكر شيوخه وتلاميذه، وفيه عدة مباحث.

المبحث الأول: نشأته العلمية.

المبحث الثاني: شيوخه وآباؤه في العلم.

المبحث الثالث: نشاطه العلمي، وذكر نماذج عنه، وبيان حال مكتبته العظيمة النادرة.

المبحث الرابع: تلاميذه وأبناؤه في العلم.

الباب الثاني: العلوم التي برع فيها الشيخ محمد عابد، ومصنفاته وآثاره العلمية. وفيه فصلان:

الفصل الأول: إبداعه في علم الفقه وأصوله، ومصنفاته الفقهية، وبيان منهجه الفقهي.

الفصل الثاني: بقية العلوم التي برع فيها الشيخ محمد عابد، ومصنفاته فيها، وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: إتقانه للقرآن الكريم وعلومه، ومصنفاته فيها.

المبحث الثاني: براعته في الحديث النبوي الشريف وعلومه، ومصنفاته فيها.

المبحث الثالث: تقدّمه في علوم اللغة العربية وفنونها، ومصنفاته فيها.

المبحث الرابع: إمامته في علم المناظرة.

المبحث الخامس: حذِقه في علم الطب، ومصنفاته فيه.

الخاتمة: وفيها ملخص لهذه الدراسة عن هذا الإمام العلم، وذِكرٌ لأهم ما توصلت إليه من النتاج.

هذا، وأسأل الله الكريم من فضله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب له القبول، وأن يوفقني لخدمة دينه الحنيف، مع تمام العافية من كل سوء ومكروه، وأن يرزقني السداد والصواب.

وأسأله جلّ وعلا أن يتغمّد صاحب الترجمة بالرحمة والمغفرة والرضوان، وسائر علماء المسلمين، وأن يغفر لنا ولوالدينا ومشايخنا والمسلمين أجمعين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

الباب الأول

التعريف بالإمام محمد عابد السندي الأنصاري

الفصل الأول: شخصية الشيخ محمد عابد

المبحث الأول: اسمه ونسبه

هو محمد عابد بن أحمد علي بن محمد مراد بن محمد يعقوب الأيوبي الأنصاري السندي، وقد اشتهر اسمه بالشيخ محمد عابد السندي.

وأما نسبة الأيوبي الأنصاري، فهي نسبة لجده الأعلى الصحابي الجليل أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه، حيث هو من ذريته الكريمة، وشجرة نسبهم محفوظة في المجلد الرابع من كتاب جدّه الشيخ محمد مراد الأنصاري"دفينة المطالب"(١).

فهو خزرجي أنصاري، لكنه" وُلد ببلدة (سِيون) من بلاد السند على شاطئ النهر، شمالي حيدر آباد السند، مما يلي بلدة بُوبْك" (٢)؛ ولذا يقال في نسبه السندي؛ وبهذا الاسم والنسب تجده مكتوباً بخط يده رحمه الله في كثير من كتبه.

---

(١) مخطوط بالمكتبة المحمودية برقم ٢٨١٦.

(٢) *اليانع الجني*(مخطوط)، *أبجد العلوم* ١٧١/٣.

المبحث الثاني: ولادته وزواجه وذريته ووفاته

ولد الشيخ محمد عابد السندي ببلدة (سيون) من بلاد السند- والسند هي من بلاد باكستان اليوم- وذلك في حدود سنة ١١٩٠هـ ، كما ذكر هذا الشوكاني[١]، ولم أر غيره نصّ على تحديد سنة ولادته.

وهكذا نشأ الشيخ محمد عابد أول عمره في السند، ثم رحل في حدود سنة ١١٩٤ هـ إلى الحرمين الشريفين مع والده وأهله، بصحبة عميد أسرتهم جدّه شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري، وكان قرارهم في مدينة جدة.

وفي الحجاز بقي ينتقل بين جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف، يطلب العلم ويبحث عن العلماء، حتى غدا عالماً كبيراً، وطبيباً حاذقاً، وبعد أن توفي جده شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري في مدينة جدة سنة ١١٩٨هـ[٢]، وكذلك بعد أن توفي والده العلامة الشيخ أحمد علي في مدينة جدة سنة ١٢٠٢هـ ، بعد هذا بقي مع عمه العلامة الشيخ محمد حسين الأنصاري، ثم رحل بصحبته إلى بلاد اليمن سنة ١٢٠٨هـ تقريباً، واستقرّ باليمن في الحُديدة وبندر المخا، متنقلاً بين مدن اليمن، طلباً للعلم والعلماء.

وفي بندر المخا التقى بوزير حاكم صنعاء الإمام المنصور، وهو العلامة الشيخ محمد علي العمّاري[٣]، فزوّجه ابنته، لما رأى من فضله وعلمه ونبله، فالتقى سليل العلم والأدب والفضل والدين والنسب، ببنت العلم والفضل والأدب والجاه.

عقبه وذرّيته

إن الكتب التي ترجمت للشيخ محمد عابد السندي، تكاد تُجمع على أنه مات ولم يخلّف أحداً ، بل ذكروا أنه مات عقيماً[٤].

---

[١] *البدر الطالع* (٢/١٢٢٧هـ).

[٢] كما هو مثبت في كتاب (*دفينة المطالب*) للشيخ **محمد مراد الأنصاري** مخطوط في المحمودية برقم ٢٨١٦.

[٣] كما هو مثبت في مخطوطة (مجمع *الزوائد*) في المحمودية، وهي نسخة الشيخ محمد عابد، برقم (٤٥٧)، وينظر *اليانع الجني* (مخطوط لوحة ٣٥) *أبجد العلوم* ٢/١٧١.

[٤] عقود الجواهر والدرر (مخطوط)، حدائق الزهر (مخطوط) وهو في المطبوع منه ص١٥٤، اليانع الجني (مخطوط) لوحة ٣٧، أبجد العلوم ٢/١٧٢.

وجاءت نصوص وقفيات الشيخ محمد عابد لكتبه على المكتبة المحمودية تشير أنه لا عقب له، حيث كان يقول فيها" وقفٌ لله تعالى، والنظر فيه لنفسي مدة حياتي، ثم للأرشد فالأرشد من ذريتي، ذكرٍ أو أنثى إن كان لي عقب، وإلا فإن متُّ من غير عقب كان النظر فيه لأكبر السادة ورئيسهم في قرية (متاري) حررت سنة"١٢٤٩هـ.

والواقع أن الله رزقه ولداً ذكراً، ثم مات وهو طفل صغير، وكذلك رزُق ببنت، وماتت صغيرة، كما نصّ على هذا في كتابه المواهب اللطيفة(١).

وفاته

توفي رحمه الله يوم الاثنين لسبع عشرة خلون من شهر ربيع الأول، سنة سبع وخمسين ومائتين وألف (١٢٥٧هـ) ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى(٢).

المبحث الثالث: أخلاق الشيخ محمد عابد وخصاله

لقد كرم الله تعالى الشيخ محمد عابد السندي بكريم الخصال، ونبيل الخِلال من الأخلاق الفاضلة، وعالي الصفات الكاملة.

وهكذا أثنى عليه مترجموه وعارفوه في ذلك ثناءً عطراً، فهذا العلامة الأمير الصغير الفقيه المالكي الشيخ محمد بن محمد السنباوي الأزهري، المتوفي سنة ١٢٥٣هـ ، قال مقرظاً لكتاب الشيخ محمد عابد (منحة الباري)(٣):

ولا بِدْع فإن مؤلفه قد حاز من كل شيء أحسنه، واستقصى الدرجة العليا، فظفر بها على الوجود المستحسنة، سَبَحَ في بحور تلك اللطائف الربانية، ووَرَد ينابيع المعارف الرحمانية، فأتى بجوامع الكلِم الإيمانية، وصحيح الأحاديث

---

(١) شرح مسند أبي حنيفة (مخطوط) ج٢ لوحة ١٠.

(٢) عقود الجواهر والدرر (مخطوط)، *اليانع الجني* ٣٦.

(٣) (مخطوط) المحمودية برقم (٦١٠).

النبوية؛ فلهذا لاحت على جامعها أنوار الشموس الباهرة، وصار بين أقرانه بدر سمائهم الزاهرة) أهـ.

وقال العلامة لطف الله الجحاف فيما كتبه تقريظاً لكتاب (منحة الباري): " وكان مؤلفه صاحب فضائل عديدة غير العلم، من الكرم والمروءة وحُسن الخلق" أهـ.

١- زهده وكرمه: قال العلامة التُّرهتي في اليانع الجني(١)، وهو يصف الشيخ محمد عابد: (الزاهد المتجافي عن الدنيا وزخارفها، المُعرْض عن مراقها ومعاطفها، مع أنه استفاد دنيا واسعة من المنصور بالله علي بن المهدي العباسي إمام اليمن في عصره) أهـ.

كما ذكر صاحب اليانع الجني بعض أخبار كرم الشيخ محمد عابد وعطائه، مما لا يتسع المقام لذكره.

٢- تواضعه وانكساره لله تعالى.

كان من تواضعه رحمه الله هضمه الشديد لنفسه، ونفرته الظاهرة من التفاخر والتعالي، ورؤيته لنفسه أنه أقل الناس، مع ما آتاه الله تعالى من منح وعطايا، وعزّ وجاه.

تجد هذا طافحاً حداً في عباراته التي يسجلها في كتبه وإجازاته، فمن ذلك قوله: "أما بعد فيقول أضعف عباد الله تعالى وأحقرهم"(٢).

ويقول في إجازته للشيخ عارف حكمة: "وقد طلب مني- حُسن ظنٍ منه- إجازة فيها وفي جميع ما يجوز لي روايته، فلم أجد من امتثال أمره بُداً، وإلا فأنا أحقر مِن مَن أن أذكر، فأجزت له.." أهـ.

---

(١) (مخطوط) لوحة ٣٥.

(٢) مقدمة كتابه (*فك المحنة*) مخطوط.

ومن تواضعه العلمي، أنه حين كان يبّين أخطاء غيره إن عُرضت عليه فتاواهم مثلاً، وطُلب منه النظر فيها أو نحو ذلك، فإنه يُظهر كمال تواضعه، واحترامه لصاحب تلك الفتوى، وأنه لولا الديانة ما بيّن ذلك، مع أدب جمّ فريد في بابه.

٣- ومن أخلاقه العالية: أنه كان كريم العشرة مع الناس يشاركهم في مناسباتهم وأفراحهم(١)، كما كان واسع الصدر مع غيره وإن اختلفت مشاربهم عنه، يألف ويؤلف(٢).

٤- ومن أخلاقه العلمية، نصحه للأمة وإقامته للسنن، وصبره على جفاء أبناء الزمن(٣).

٥- أما عباداته، فيصفه لطف الله الجحاف بقوله(٤): "هذا مع فضائل عديدة غير العلم، من الكرم والمروءة، وحسن الخلق والتواضع والنُسك، والمواظبة على الأوراد ومراسم العبادات".

٦- ذكاؤه المفرد: يقول العلامة الشوكاني عن هذا الجانب بعد أن قرأ عليه الشيخ محمد عابد مدة: " وله فهم صحيح سريع، وكان وصوله إلى صنعاء سنة ١٢١٣هـ ، وتردّد إليّ وقرأ عليّ في" هداية الأبهري" وشرحها للمبيدي في علم الحكمة الإلهية، وكان يفهم ذلك فهماً جيداً، مع كون الكتاب في غاية الدقة والخفاء، بحيث كان يحضر جماعة من أعيان العلماء العارفين بعدة علوم، فلا يفهمون غالب ذلك" (٥) أهـ.

---

(١) ينظر *حدائق الزهر، وعقود الجواهر والدرر، درر نحور الحور العين*(مخطوط)، *نيل الوطر* ٢/٢٨٠.

(٢) ينظر *فهرس الفهارس* ١/٣٦٤.

(٣) ينظر *اليانع الجني* ٣٦/أ.

(٤) في تقريظه لكتاب (*منحة الباري*).

(٥) *البدر الطالع* ٢/٢٢٧.

٧- أما سَمْته وهَديه: فقد وصفه مترجموه بأنه"كان من أحسن الناس هَدْياً وسمتاً في زمانه"(١).

المبحث الرابع: ثناء العلماء على الشيخ محمد عابد، ومكانته بينهم

لقد سجّل عارفو الشيخ محمد عابد من أساتذته وتلاميذه، وكذلك المعاصرون له، وأيضاً أهل الفضل والصدق من علماء الأمة، وورّاث النبوة ممن جاء بعدهم، سجلوا ثناءات عالية في حقه وقدره، ودوّنوا شهادات زكية تشهد بعلو مكانته ورفعة منزلته، وقبوله التام عند الخاص والعام.

فقد قال صاحب اليانع الجني:" كثر ثناء الناس عليه في حياته، وسمرهم بمفاخره بعد وفاته".

وأنقل فيما يلي بعض ما وقفت عليه من ثناءات العلماء عليهِ لنتعرّف على ما كان عليه هذا الإمام العظيم الشأن من الفضل والقدر والعلم والتحقيق:

١- يقول العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي في تقريظه لكتاب منحة الباري، وذلك سنة ١٢٢١هـ : " وبالجملة فإن هذا المؤلَّف قد دلّ مؤلّفه على حفظٍ باهر للسنة النبوية، ورسوخ ملكة في استحضار الأحاديث النبوية...، ولا غَرو، فهو من بيت مشهور بالفضل، معمور بالعلم؛ إذ هو من ذرية أبي أيوب الأنصاري، لم يزل آباؤه متمسكين بالعلوم، وعبادة الحيّ القيوم.

وقد قرأ الشيخ محمد عابد على عمّه وغيره في العلوم، وأحرز فنونها، وحقّق أصولها وفروعها، من نحو وصرف وبيان ولغة وفقه وأصول وحديث وتفسير وطبّ، وبرّز في كل فن منها، واشتهر بالحديث والطب، وحُمِدت مباشراته لعلاج الأمراض، مع تحقيقه لكليات ذلك العلم وجزئياته" أهـ.

---

(١) *اليانع الجني* ٣٦/أ.

٢- ويقول العلامة المحقق مفتي مكة المكرمة ورئيس علمائها الشيخ عبدالله سراج الحنفي المكي ، المتوفي سنة ١٢٦٤هـ ، وذلك فيما كتبه على ظهر نسخة من كتاب " طوالع الأنوار" للشيخ محمد عابد، وهو يترجم له فقال: " هو الإمام العالم العلامة، القدوة الفهّامة، خاتمة المحققين في زمانه، وعمدة المدققين في عصره وأوانه، وفخر العلماء الراسخين، ونخبة الفضلاء المقدسين، الأستاذ الكامل، والمسند الواصل، مولانا الشيخ محمد عابد السندي ثم المدني، الفقيه المحدّث الحافظ ابن المرحوم الشيخ أحمد علي.." أهـ.

٣- وقال العلامة الشيخ لطف الله جحاف، المتوفي سنة ١٢٤٣هـ ، وذلك في نسخة الشيخ محمد عابد من (منحة الباري)، حين طلب منه الشيخ عابد أن يكتب تاريخ الانتهاء منها، فكتب واصفاً الشيخ محمد عابد بقوله:" الشيخ الهمام، أوحد الإعلام، بقية السلف، وغُرّة الخلف، العلامة الأوحد الولي، محمد عابد بن أحمد علي السندي.." أهـ.

وقال ناظماً:

خلْتُ الفضائل في محمد عابدٍ جُمِعت كجَمْعِ قلامة للشارد
فَهْمٌ تراه بكل علم عارفاً في الدين والأبدان شِثْن الساعد
وله يدٌ في غاية التحقيق مو صلة إلى زُبدٍ، لفذٍ ناقد

٤- ويقول العلامة الشيخ محمد صابر(١): " هذا ما حرَّره الفقير، مقرّاً بقلة العلم، وكثرة التقصير، امتثالاً لأمر الشيخ محمد عابد، الذي كان في علم القرآن والأحاديث خبْراً، وفي أقوال الفقهاء والحكماء بحراً" أهـ.

٥- ويقول العلامة المفسّر الآلوسي، المتوفي سنة ١٢٧٠هـ (٢): "ومنهم البحر الرائق، وكنز الدقائق، ومَن كلامه تنوير الأبصار، والدر المختار، ذو

---

(١) *القول السديد* "مخطوط" في المحمودية.

التأليفات الشريفة، وقرّة عين الإمام أبي حنيفة، العالم الزاهد الشيخ محمد عابد، عَمَرَه الله بمزيد العوائد.." أهـ.

٦- ويقول تلميذه العلامة الفقيه المؤرخ الشيخ الحسن بن أحمد الضمدي، المشهور بـ(عاكش)، المتوفي سنة ١٢٨٩هـ :" شيخنا العلامة المحدث الحافظ النقّاد، عالي الإسناد"[١].

وقال أيضاً: "وهو إمام نظّار، وسابقٌ لا يُشق له غبار، يستحضر متون الأحاديث، ويعرف عللها، وله في نقد الرجال يد طولى، وإذا تكلم لسعة حفظه فكأنما يملي من صحيفته إملاءً، موقفه محط رجال الأعلام، كثير الفوائد".

٧- وقال تلميذه العلامة المحدث الشيخ عبدالغني الدهلوي المدني المتوفي سنة ١٢٩٦هـ:" شيخنا قدوة المحدثين، إمام الحرمين"[٢].

٨- ويقول تلميذه الشيخ يحيى بن حسن الأخفش في بداية كتابه: "إدارة الألحاظ"[٣] في شرح كتاب شيخه محمد عابد" إيجاز الألفاظ" شيخنا العلامة الحبر الفهامة شيخ الإسلام، سليل الكرام، أستاذ الشيخ المحدِّثين، وقدوة العارفين، مَن رقى أعلى ذروة الكمال، وخضعت له الأكفاء في العصر على كل حال، بدر الدين محمد عابد بن أحمد علي..) أهـ.

٩- وقال العلامة المحدث الشيخ محمد بن يحيى الترهتي، المتوفي تقريباً سنة ١٢٩٣هـ في اليانع الجني[٤]: " ويرويه شيخنا الشيخ عبدالغني عن القدوة الحافظ الحجة المتقن الورع، محدّث دار الهجرة، وسلالة ذوي آل النصرة، إمام المسلمين، وناصية الفقهاء والمحدّثين، علم الهدى والسنة، الصابر عند البلاء

---

[٢] *شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم* ص٢٠٢.

[١] *حدائق الزهر، وعقود الجواهر والدرر*"مخطوط"، *ونيل الوطر* ٢/٢٨٠.

[٢] على ظهر نسخة من "*حصر الشارد*" محفوظة في الحرم المكي برقم (٧٦٢) عام.

[٣] مخطوط في دار الكتب المصرية برقم ١٠٤٠٥.

[٤] ٤ ب ٥ أ.

والمحنة، شيخ الحرم النبوي في حياته، والثانوي بترب طيبته بعد مماته، الشيخ المبارك محمد المعروف بعابد الأنصاري ثم الخزرجي السندي" أهـ.

وقال عنه أيضاً(١): " هو العالم الجامع، والفاضل البارع، المحدّث الحافظ المتقن، الفقيه المتبحر الفطن، والزاهد المتجافي عن الدنيا وزخارفها، محيي السنة حيث عفت رسومُها، وهجرت علومها، وشيخ مشايخنا محمد عابد بن أحمد علي.." أهـ.

١٠- وقال العلامة المؤرخ عبد الستار بن عبدالوهاب الدهلوي المكي، المتوفي سنة ١٣٥٥هـ ، حين ترجم للشيخ محمد عابد، فقد ختم ترجمته بقوله: " والحق أن الله رفع به العلم ومناره، وآية الله الباهرة في الحديث والفقه" (٢).

المناصب الرفيعة التي تولاها الشيخ محمد عابد ومكانته العالية بين علماء عصره:

لقد أكرم الله تعالى الشيخ محمد عابد بإكرامات كثيرة، وبوّأه منزلة سامية، ورفعه مكاناً علياً عند خاصة الناس وعامّتهم، حتى قال صاحبه وتلميذه الشيخ لطف الله جحاف: " وللشيخ محمد عابد سيادة في الناس ووجاهة" (٣).

فكان مقدّماً عند الحكّام والأمراء، مع تقوى وصلاح، ونزاهة وورع، فقد كان الطبيب الخاص لحاكم صنعاء المنصور بالله، وأستاذاً له في حلقة علمية كانت تعقد في مجلسه، وكذلك كان حاله عند أولاد المنصور من بعده: المتوكل والمهدي.

وتقدم أنه تزوج بنت وزير حاكم اليمن العلامة الشيخ علي العماري، كما تولى القضاء مدة طويلة في مدينة زبيد، حتى عُدَّ من أهلها، وهكذا دام للشيخ محمد عابد هذا العزّ والجاه مدة إقامته باليمن، ثم زاده الله عزّاً فوق ذلك، حيث صار

---

(١) *اليانع الجني* ٣٤ب.

(٢) *فيض الملك المتعالي* (مخطوط).

(٣) *درر نحور الحور العين* (مخطوط) حوادث سنة ١٢٢٠هـ.

رئيساً لعلماء المدينة المنورة بتعيين من قِبَل والي مصر والحجاز محمد علي باشا، وذلك سنة ١٢٤٣هـ ، فجاء إلى المدينة المنورة واستقر فيها إلى آخر حياته(١).

أما عن مكانته بين علماء زمانه، فكان مرجعهم في الملمات العلمية، وركناً شديداً يأوون إليه، كما هو واضح من خلال رسائله الفقهية المؤلَّفة، التي كان غالبها جواباً لأسئلة وُجِّهت إليه من كبار علماء زمانه.

الفصل الثاني: نشأته العلمية ورحلاته، وذكر شيوخه وتلاميذه

المبحث الأول: نشأة الشيخ محمد عابد العلمية

١- نشأ الشيخ محمد عابد منذ نعومة أظافره في جوٍّ علمي كريم فريد، إذ تري في حِجر جده شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري، وحجر والده وعمه العلماء الأعلام.

وهكذا ترعرع في أسرة الفضل والعلم والدين، والعبادة والوعظ والأدب المتين، فهذه هي مدرسته الأولى التي تربى فيها، ووضع العلم النافع منها، وانطبع بطابعها الكريم.

وهذه هي الحلقة الأولى من حياة الشيخ محمد عابد التي هي أهم أطوار حياته؛ لأن حياة الإنسان كلها في الغالب إنما هي نتيجة تلك المقدمات.

٢- وتأتي المرحلة الثانية من حياته بعد تأسيسه العلمي، ونبوغه من صغره، وفي هذه المرحلة بدأ يقرأ فيها على كبار علماء الحجاز، من أهل مكة وجدة والطائف، بعد أن رحل إليها مع جده الشيخ محمد مراد الأنصاري.

٣- ثم تأتي المرحلة الثالثة من حياة الشيخ محمد عابد، وهي رحلته إلى اليمن، وتنقله بين مدنه وقراه وجباله وأدويته، بحثاً عن العلم والعلماء واستفاد من علمائها كثيراً، وكان يقول:

---

(١) اليانع الجني لوحة (٣٥).

"طفتُ أكثر البلدان، فلم أر مثل علماء صنعاء في التحقيق للعلوم والأحاديث، والتحرّي للعمل بما صحَّ به النص"[١].

وهكذا وصل الشيخ محمد عابد إلى اليمين وهو في العشرين من عمره تقريباً وقد بلغ مبلغ العلماء والكبار، وبقي فيه أكثر من ثلاثين سنة، ثم عاد مستقراً في آخر ربع عمره في المدينة المنورة رئيساً لعلمائها.

أما رحلاته في هذه السنين الطويلة فكانت كثيرة كثيرة، إلى الحجاز ثم اليمن ومصر والسند والهند وغيرها، مع كثرة تردداه من اليمن إلى الحج والعمرة، وهكذا بقي في المدينة المنورة ناشراً للعلم في ربوعها وجنباتها، إلى أن توفي فيها سنة ١٢٥٧هـ رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني: شيوخه وآباؤه في العلم

لقد جمعت أسماء شيوخه من خلال تتبعي لمروياته في كتابه: "حصر الشارد في أسانيد محمد عابد" ومن خلال إجازته، وكذلك كتابه" تراجم مشايخه ومشايخ مشايخ" وغيرها من كتب مترجميه، وخاصة" فهرس الفهارس" وغيرها.

وفيما يلي أذكر طائفة من أشهرهم، مرتباً لهم حسب حروف المعجم، مع الاختصار في ترجمتهم خشية الإطالة:

١- الشيخ العارف الكبير الشريف أحمد بن إدريس أبو العباس العرايشي الحسيني المغربي[٢]. المولود سنة ١١٧٢هـ ، والمتوفي سنة ١٢٥٣هـ رحمه الله، وقد ذكر تلمذته عليه الشيخ محمد عابد في المواهب اللطيفة[٣].

---

[١] *عقود الجواهر والدرر*، *نيل الوطر* ٢/٢٧٩.

[٢] له ترجمة مطولة في *حدائق الزهر* ص ١١٩، *النفس اليماني* ص ١٦٠، *الأعلام* ١/٩٥.

[٣] ج١/ لوحة ١٨.

٢- الشيخ السيد أحمد بن سليمان بن أبي بكر الهجَّام، ذكره الشيخ محمد عابد كثيراً في حصر الشارد، ولم أقف له على ترجمة، لكن وصفه الشيخ محمد عابد بأوصاف عالية جداً، بأنه" سيد الجهابذة الأعلام، العلامة ولي الله تعالى العارف، ذو الكرامات" وغير هذا.

٣- الشيخ حسين بن علي المغربي، الإمام الجليل والفهامة النبيل، مفتي المالكية بمكة المكرمة، المتوفي سنة ١٢٢٨هـ ، رحمه الله تعالى(١).

٤- الشيخ صالح بن محمد الفُلاّني المكي المدني، الإمام المحدث الحافظ المسند الأصولي، فخر المالكية، المولود سنة ١١٦٦هـ ، والمتوفي بالمدينة المنورة سنة ١٢١٨هـ (٢).

وقد أكثر الرواية عنه الشيخ محمد عابد فلي حصر الشارد، وذكره بأوصاف عالية جداً جداً، بأنه أستاذ المحدّثين المحققين، الإمام الذي لا يجاري، وغير هذا.

٥- الشيخ العلامة صديق بن علي المِزْجاجي الزبيدي، الحنفي، محقق في علوم كثيرة، لاسيما الحديث والفقه ولد سنة ١١٥٠هـ ، وتوفي سنة ١٢٢٩هـ رحمه الله تعالى(٣).

٦- الشيخ عبدالرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل الشافعي، مفتي زبيد، وهو أشهر وأعلم مشايخه اليمنيين، وقد روى عنه الشيخ محمد عابد كثيراً في حصر الشارد، ووصفه بأوصاف عالية جداً، ولد سنة ١١٧٩، وتوفي سنة ١٢٥٠ رحمه الله تعالى(٤).

---

(١) ينظر *فهرس الفهارس* ٣٦٣/١، *مختصر نشر النور والزهر* ١٤٣/١.

(٢) له ترجمة في *اليانع الجني* لوحة ٦ أ، فهرس الفهارس ٩٠١/٢، *الأعلام* ١٩٥/٣.

(٣) له ترجمة في *البدر الطالع* ١٣//٢٩٢، *نيل الوطر* ١٤/٢، وينظر *فهرس الفهارس* ٣٦٤/٢.

(٤) له ترجمة في *البدر الطالع* ٦٨/١.

٧- الشيخ عبدالله بن إسماعيل الصنعاني الإمام الحافظ الكبير، وهو ابن الأمير الصنعاني، صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام، وقد روى عنه الشيخ محمد عابد في حصر الشارد، وكانت وفاته سنة ١٢٤٢هـ رحمه الله تعالى(١).

٨- الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي التميمي، الفقيه الحنبلي المشهور، روى عنه الشيخ محمد عابد في حصر الشارد، وكانت ولادته سنة ١١٦٥هـ ، ووفاته سنة ١٢٤٢هـ ، رحمه الله تعالى(٢).

٩- الشيخ محمد بن علي الشوكاني، ثم الصنعاني؛ الحافظ القاضي العلامة المشهور، صاحب نيل الأوطار، المولود سنة ١٢٥٠هـ ، رحمه الله تعالى(٣)، وقد ذكر الشوكاني تلمذة الشيخ محمد عابد عليه في البدر الطالع(٤).

١٠- الشيخ محمد حسين ابن شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري السندي، عم الشيخ محمد عابد وصنو أبيه ، وهو أخص شيوخه، وبه تخرّج ، وانتفع به كثيراً في الحجاز واليمن.

وقد أثنى عليه الشيخ محمد عابد كثيراً ومراراً في حصر الشارد ، وحلاّه بأوصاف عالية رفيعة، وقد توفي رحمه الله سنة ١٢١١هـ(٥).

١١- الشيخ محمد زمان الثاني بن محبوب الصمد بن محمد زمان الأول السندي، ولي الله تعالى العارف بالله، روى عنه الشيخ عابد في حصر الشارد وأثنى عليه كثيراً، واستجازه الشيخ محمد عابد، كما طلب هو الإجازة من الشيخ محمد عابد، فهوت مجيز ومجاز، وكانت وفاته سنة ١٢٤٧(٦)، رحمه الله تعالى.

---

(١) له ترجمة في *البدر الطالع* ٣٩٦/١، *النفس اليماني* ص ١٨٠، *الأعلام* ١٣١/٤.

(٢) له ترجمة في *الأعلام* ١٣١/٤، *علماء نجد خلال ثمانية قرون* ١٦٩/١.

(٣) ترجم **الشوكاني** لنفسه في *البدر الطالع* ٢١٤/٢-٢١٥، وكذلك **عاكش** في عقود *الجواهر والدرر، وحدائق الزهر*.

(٤) ٢٢٦/٢.

(٥) له ترجمة في *نزهة الخواطر* ٤٧٨/٧.

(٦) له ترجمة في *تذكرة مشاهير السند* **للوفائي** ١٢٠/٣.

١٢- الشيخ محمد طاهر بن الشيخ المحدّث محمد سعيد سنبل المكي، المسند الشهير، من كبار فقهاء الحنفية، ووالده هو صاحب الأوائل السنبلية، وكانت وفاته رحمه الله سنه ١٢١٨هـ ، وقد روى عنه الشيخ محمد عابد في حصر الشارد، وقرأ عليه في مكة والطائف، واستجازه(١).

١٣- الشيخ يوسف بن محمد بن علاء الدين المزجاجي الزبيدي الحنفي، العلامة المسند الحافظ المبرّز في علوم الرواية والدراية، وقد سمع عليه الشيخ محمد عابد المسلسل بالأولية في زبيد سنة ١٢١٣هـ، وقد توفي رحمه الله في السنة نفسها(٢).

إجازات الشيخ محمد عابد من مشايخه:

وللشيخ محمد عابد مجموعة من إجازات مشايخه له نظماً ونثراً، وكانت موجودة في المدينة المنورة(٣).

علوّ إسناد الشيخ محمد عابد:

لقد كان بين الشيخ محمد عابد وبين الإمام البخاري صاحب الصحيح تسعة رجال، وهو في هذا الزمن المتأخر، وهذا من نوادر الإسناد العالي، ولذا كان يقول عن نفسه: " لمثلي فليُسْعَ؛ لأن بيني وبين البخاري تسعة"(٤).

المبحث الثالث: نشاطه العلمي

لقد كانت حياة الشيخ محمد عابد رحمه الله مليئة عامرة بالجدّ والاجتهاد في العلم والعمل، وفلي نفع العباد والبلاد، ما بين قراءة وإقراء وتأليف ونسخ للكتب، وسفر ورحلات في طلب العلم ونشره، وخدمة للإسلام والمسلمين، وأذكر فيما يلي بعض ما وقفت عليه من أخبار تتعلق بنشاطه العلمي، والتي سنرى من خلالها همته العالية التي كانت تسامي الجوزاء، وكم في ذلك من الفوائد والعبر والدروس، والقدوة الحسنة.

---

(١) له ترجمة في مختصر *نشر النور والزهر* ١٨٣/١، *الأعلام* ١٧٢/٦ .

(٢) له ترجمة في *النفس اليماني* ص١٠٩، *البدر الطالع* ٣٥٦/٢.

(٣) *فهرس الفهارس* ١٧٢٢/٢، ٣٦٥/١.

(٤) ينظر فهرس *الفهارس* ٧٢٢/٢، حصر *الشارد* لوحة ١٣٠.

١- فمن ذلك: قيام الشيخ محمد عابد بترتيب مسند الإمام الشافعي واختصاره وتهذيبه في طريق السفر أوقات نزوله للراحة والاستقاء، فقد قال في ختام كتابه هذا: " وكان الشروع في جَمْعه في شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٩هـ بعد ما ركبتُ في ساعيةٍ لسفر الحج، وكان تمامه والفراغ منه بعد العصر يوم الخميس ليلة عشرين من ربيع الأول سنة ١٢٣٠هـ ، وذلك عند رجوعي من أرض الحرمين في مسجد القنفذة وجامعها.

وما كان يمكنني كتابته إلا في السواقي والمنازل، وما هذا إلا نعمة من الله تعالى، حيث شغلني بالسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية، في أوقات لا تسمح لمثل هذا لعمل، لا أحصي ثناء على الله، هو كما أثنى على نفسه.." أهـ.

٢- ومن أخبار نشاطه العلمي: ما سجّله هو في نهاية الجزء الأول من نسخة بخط يده من كتاب (لسان الميزان) لابن حجر العسقلاني حيث قال: تم الجزء الأول في ٢٨ شعبان سنة ١٢٥١هـ ، ونحن نازلون بمستورة، شاذُون إلى رابغ للاعتمار في رمضان إن شاء الله، ويتلوه الجزء الثاني.." أهـ.

٣- ومن عجيب أخبار نشاطه العلمي في تدريسه لكتب السنة النبوية، ومثابرته على ذلك: ما حكاه السيد محمد عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس[1] قال: " فكان مدة مقامه في المدينة المنورة مثابراً على إقراء الكتب الستة، حتى إنه كان يختم الكتب الستة في ستة أشهر، بل حدّثني المسند الخطيب السيد أبو جيدة بن عبدالكبيرالفاسي أنه حدّثه شيخه المعمر العلامة الشيخ حسن الحلواني المدني أنه سمع على الشيخ محمد عابد الكتب الستة في شهر، وأخذها عنه دراية في ستة أشهر، وهذا الصبر عجيب عن المتأخرين.." أهـ.

---

[1] ٢/٧٢٢.

٤- ومن أخبار نشاطه العلمي في استنساخ الكتب ومقابلتها على أصولها: ما ذكره العلامة الشيخ أحمد شاكر في مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي، وهو يصف نسخة للشيخ محمد عابد من الكتب الستة: البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود والموطأ، وأنه استنسخها وقابلها على أصولها في مدة سبعة أشهر إلا سبعة أيام.

كما استنسخ الكتب الستة في مجلد واحد، واستنسخ (فتح الباري) لابن حجر في مجلد واحد (١) ، وعمل مجلس فرح وسرور للعلماء بهذه المناسبة(٢).

٥- ومن أعظم نشاطه العلمي: مؤلفاته الكثيرة الضخمة، التي كان منها كتاب " طوالع الأنوار شرح الدر المختار" والتي بلغت إحدى نسخه عشرة آلاف لوحة مخطوطة، وله كتاب شرح مسند الإمام أبي حنيفة في ألف لوحة، وغير هذا من المؤلفات الكثيرة الكبيرة، وله رسائل عديدة.

٦- أما عن نشاطه العجيب في جمع مكتبة نادرة خلال حياته، ضمَّت غالب كتب الحديث التفسير والفقه على المذاهب الأربعة وكتب أصول الفقه واللغة العربية، والطب وغيرها من الفنون، حتى نوَّه مترجموه بعظيم تلك المكتبة ونفاستها وما فيها من الكتب النادرة"(٣).

وقد وقف هذه المكتبة العظيمة على المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، ونفع الله بها أناساً كثيرين وما زالت شامخة باسمه أمام ناظرها في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، تحيي ذكره، ويجري ثوابها في صحائفه إن شاء الله عز وجل.

---

(١) توجد قطعة منه في المحمودية بالمدينة المنورة برقم ٥٦٨.

(٢) *عقود الجواهر والدرر* مخطوط لوحة ١٠٩، *وحدائق الزهر* مخطوط، لوحة ٣٩.

(٣) *فهرس الفهارس* ٧٢٢/٢.

المبحث الرابع: تلامذته وأبناؤه في العلم

لقد أمضى الشيخ محمد عابد عمره المبارك في العلم والتعليم ونشر العلم، وبث الخير والفضائل بين الناس، " ولم يزل مجتهداً في نصح الأمة وخفض جناحه لهم، وإقامة السنن، والصبر على جفاء أبناء الزمن حتى وافاه الأجل، ولقي الله تعالى " (١).

فقد فقام بنشر العلم في اليمن نحواً من ثلاثين سنة، كما درَّس في الحرمين الشريفين مدة طويلة، وبخاصة في الحرم النبوي، وهكذا طاف أكثر البلاد ونشر العلم حيث حلّ وارتحل، وقد تخرّج به علماء كبار وأئمة عِظام، كان لهم دور كبير في سير حركة العلم قبل وبعد وفاة شيخهم.

وأذكر فيما يلي طائفة من كبار تلامذته وأشهرهم، وإلا فحصر تلامذته أمرٌ عسير لا يمكن ضبطه:

١- السيد إبراهيم ابن السيد حسين المخلص، له إجازة من الشيخ محمد عابد في ربيع الأول سنة ١٢٤٤هـ (٢) ، وقد وصفه فيها بقوله: " مولانا العلامة الفهامة، سلالة العلماء العاملين، ونخبة الفضلاء المحققين، السيد إبراهيم ابن السيد حسين المخلص.." أهـ ولم أقف له على ترجمة.

٢- الشيخ إبراهيم بن عبدالقادر الرياحي، العلامة الفقيه المالكي عالم الديار التونسية، ولد سنة١١٨٠هـ ، وتوفي رحمه الله في تونس سنة ١٢٦٦، بعد أن ولي رئاسة الفتوى فيها، وله عدة مؤلفات(٣).

٣- الشيخ إبراهيم بن محمد سعيد الفتّة مكي، الفقيه الحنفي الكبير، والعالم الشهير، والناظم الأديب، أحد قضاة مكة المكرمة، له عدّة مؤلفات، ولد سنة ١٢٠٤هـ ، وتوفي رحمه الله في سنة ١٢٩٠هـ(٤).

---

(١) *اليانع الجني* ٣٥ (مخطوط).

(٢) محفوظة في مكتبة الحرم المكي، ضمن مجموع برقم ٤٢٦٤٥/ ٥ عام.

(٣) له ترجمة في *الأعلام* ٤٨/١، *فهرس الفهارس* ٣٦٦/١.

(٤) ينظر *فهرس الفهارس* ٦٩٢/٢، *مختصر نشر النور والزهر* ص٥١، *الأعلام* ٧١/١.

٤- الشيخ جمال بن عبدالله ابن الشيخ عمر المكين مفتي الحنفية بمكة المكرمة، ورئيس المدرّسين الكرام ببلد الله الحرام، المحدث المفسر الواعظ، له عدة مؤلفات، منها الفتاوى الجمالية، المتوفى بمكة المكرمة سنة ١٢٨٤هـ رحمه الله تعالى(١).

٥- الشيخ حسن الحلواني المدني، العلامة، ممن لازم درس الشيخ محمد عابد في المدينة المنورة في الكتب الحديثية الستة، فسمعها منه مراراً، رواية ودراية(٢).

٦- الشيخ الحسن بن أحمد الضمدي اليمني، الملقب بـ(عاكش) الحافظ القاضي العالم المبرّز في الفقه والتفسير والقراءات وغيرها، الأديب الشاعر المؤرخ، المولود سنة ١٢٢١هـ، والمتوفي سنة ١٢٨٩هـ رحمه الله تعالى(٣).

٧- الشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين الأزهري المالكي المكين المغربي الأصل، المتبحّر في العلوم العقلية والنقلية، مفتي المالكية في مكة المكرمة، صاحب كتاب: توضيح المناسب وغيرهن ولد سنة ١٢٢٢هـ ، وتوفي سنة ١٢٩٢هـ ، رحمه الله تعالى(٤).

٨- الشيخ عارف بن حكمة الله التركي الحنفي الحسيني المشهوربـ (عارف حكمة) شيخ الإسلام بالآستانة، القاضي الشاعر، صاحب المكتبة الوقفية الشهيرة بالمدينة المنورة. ولد سنة ١٢٠٠هـ ، وتوفي بالآستانة سنة ١٢٧٢هـ ، وقد وصفه الشيخ محمد عابد في إجازته له بأوصاف عالية جداً (٥).

---

(١) له ترجمة في *مختصر نشر النور والزهر* ١/١٢٣، الأعلام ٢/١٣٤، *فهرس الفهارس* ١/٣٦٦.

(٢) ينظر *فهرس الفهارس* ١/٣٦٦، ٢/٧٢٢.

(٣) له ترجمة في *نيل الوطر* ١/٣٠٤، *الأعلام* ٢/١٨٣، وينظر *فهرس الفهارس* ٢/٣٧٠.

(٤) له ترجمة في *مختصر نشر النور والزهر* ١/١٤١، *نظم الدرر* ص ١١٩(مخطوط) وينظر *الأربعون البلدانية* للشيخ **محمد ياسين الفاداني** ص٥.

(٥) ينظر *شهي النغم* ص٢٠٣، *فهرس الفهارس* ٢/٧٢٢.

٩- الشيخ عبدالجليل بن عبدالسلام بن عبدالله برّادة، العلامة الأديب، من أهل المدينة المنورة، وأحد المدرّسين بحرمها الشريف، وهو ممن سمع الشيخ محمد بن عابد، وكان له به اتصال، المولود سنة ١٢٤٢هـ ، والمتوفى سنة ١٣٢٧هـ [١]، رحمه الله تعالى.

١٠- الشيخ عباس بن جعفر بن عباس الصديقي، الفتني المكي، المفسر الفقيه، المولود بمكة المكرمة سنة ١٢٤١هـ ، والمتوفي بها سنة ١٣٢٠هـ ، رحمه الله تعالى، وله إجازة من الشيخ محمد عابد[٢].

١١- الشيخ عبدالغني ابن الشيخ العارف الكبير أبي سعيد ابن الشيخ الصفي العمري المجدّدي الدهلوي المدني الحنفي، الإمام العالم العامل، المحدّث العارف، ولد سنة ١٢٣٠هـ ، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ١٢٩٦هـ ، رحمه الله تعالى، وقد خرّج له أسانيده تلميذه الشاب البارع المحدّث محمد يحيى الترهتي في كتاب: اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبدالغني"[٣].

١٢- الشيخ عبدالله أمكنة ابن العلامة الشيخ محمد الشهير بـ (كوجك) البخاري المكي الحنفي، العالم الفاضل، العلامة النبيل النبيه، الصالح المتواضع، المتوفى بمكة المكرمة سنة ١٢٩٧هـ ، رحمه الله تعالى، وله إجازة من الشيخ محمد عابد[٤].

١٣- الشيخ لطف الله بن أحمد بن لطف الله جحّاف، العالم البارع في جميع العلوم، المؤرخ الشاعر الأديب، المولود سنة ١١٨٩هـ ، والمتوفي باليمن سنة ١٢٤٣هـ ، كان صاحباً وتلميذاً للشيخ محمد عابد[٥].

---

[١] له ترجمة في معجم *الشيوخ* **للفاسي** ٦٣/١، *فهرس الفهارس* ٨٨/١، *الأعلام* ٢٧٥/٣.

[٢] له ترجمة في مختصر *نشر النور الزهر* ص ٢٢٨، *فهرس الفهارس* ٦٨٦/٢.

[٣] ينظر *فهرس الفهارس* ٧٥٨/٢، ٧٦٣، *نزهة الخواطر* ٣٢٠/٧.

[٤] ينظر مختصر *نشر النور والزهر* ص٣١٦، *نظم الدرر* ص١٣٥، *فهرس الفهارس* ٣٦٧/١.

[٥] له ترجمة في *البدر الطالع* ٦٠/٢- ٧٠، *حدائق الزهر* ص٢٢٠، *نيل الوطر* ١٨٩/٢، *الأعلام* ٢٤٢/٥.

١٤- الشيخ محمد بن خليل بن إبراهيم القاوقجي الحسني الطرابلسي الشامي الحنفي، العلامة المحدّث المفسّر، الفقيه المسند، ولد سنة ١٢٢٤هـ ، وتوفي بمكة المكرمة سنة ١٣٠٥هـ ، رحمه الله تعالى(١).

وهكذا، فهذه شذرة من أسماء تلامذة الشيخ محمد عابد، لا تعبّر عن عددهم إطلاقاً، وهم من آثار الشيخ محمد عابد غير المكتوبة.

الباب الثاني

الفصل الأول: العلوم التي برع فيها الشيخ محمد عابد، وبيان مصنفاته وآثاره

يقول العلامة الشيخ إبراهيم بن عبدالله الحوثي واصفاً علوم الشيخ محمد عابد(٢): " وقرا الشيخ محمد عابد على عمه وغيره في العلوم، وأحرز فنونها، وحقّق أصولها وفروعها، من نحو وصرف وبيان ولغة وفقه وأصول وحديث وتفسير وطب، وبرّز في كل فنٍّ منها، واشتهر بالحديث والطب" أ هـ.

وقال العلامة الشوكاني وقد خبر الشيخ محمد عابد: "وصاحب الترجمة محمد عابد السندي له يدٌ طولى في علم الطب، ومعرفة متقنة بالنحو والصرف، وفقه الحنفية وأصوله، ومشاركة في سائر العلوم، وفَهم صحيح سريع" (٣).

وهكذا مع هذه الشهادات وغيرها جاءت مصنفات الشيخ محمد عابد لتشهد بصورة عملية، فقد تنوّعت تآليفه في فنون عديدة: في القرآن الكريم وعلومه، وفي السنة النبوية الشريفة وشروحها، وفي تراجم الرجال والأسانيد، وفي الفقه عموماً وخصوصاً، وفي اللغة العربية وعلومها، وفي الطب والتداوي.

---

(١) له ترجمة في *نظم الدرر* ص ٢٠٨، *فهرس الفهارس* ١/١٠٤، ٣٦٧، ١٠٦، *الأعلام* ١/١١٨.

(٢) في تقريظه لكتاب *منحة الباري* للشيخ **محمد عابد** (مخطوط).

(٣) *البدر الطالع* ٣/٢٢٧.

وحيث إنني خصصت هذا البحث عن الشيخ محمد عاد وجهوده الفقهية فقط، لذا فسأقوم بعرض كتبه ورسائله الفقهية أولاً، مع الحديث عنها، وعن منهجه الفقهي، ثم أتبع ذلك بذكر بقية العلوم التي برع فيها، مع ذكر مصنفاته فيها، ليتكامل البحث عن الشيخ محمد عابد، ولو أدى إلى طوله نوعاً ما.

كما أقف قليلاً عند كتبه الحديثية، وشروحه لكتب السنة النبوية، التي لها اتصال وثيق بالفقه، كشرح مسند الإمام أبي حنيفة، وشرح مسند الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى .

إبداع الشيخ محمد عابد في علم الفقه وأصوله، وذكر مصنفاته الفقهية، وبيان منهجه الفقهي

تقدم ثناء العلماء على الشيخ محمد عابد في العلوم كلها، وفي الحديث والفقه خصوصاً، لاسيما في الفقه الحنفي، فقد كانت له اليد الطولى فيه، وناهيك بكتابه *"طوالع الأنوار شرح الدر المختار"*، ليشهد أكبر شهادة على إمامته في الفقه عامة، وفي الفقه الحنفي خاصة، وعلى بالغ اطلاعه على أدلة مسائله وفروعه، ومأخذ كل حكم من أحكامه، واطلاعه العجيب على كتب المذهب الحنفي وما يتصل به من قريب أو بعيد، مع إيراده للمذاهب الأخرى عَرضاً بأدلة ومناقشات، ولذا نرى الشيخ محمد صابر حين أثنى على الشيخ محمد عابد وصَفَه "بأنه كان في أقوال الفقهاء بحراً" (١).

وأما كتابه *المواهب اللطيفة في شرح مسند الإمام أبي حنيفة*، وكتابه: *معتمد الألمعي المهذب في حَلّ مسند الإمام الشافعي المرتّبَ*، فكل منهما ينادي بإمامة الشيخ محمد عابد في الفقه المقارن المدلّل، مع المناقشات والمباحثات العجيبة.

وهكذا فإن تسلمه القضاء سنين طويلة في مدينة زبيد باليمن، أكسبه زيادة خبرة عملية تطبيقية فقهية في هذا المجال.

---

(١) *القول السديد* (مخطوط). لوحة ١٧.

وأكثر شيء يلفت الأنظار في مصنفات الشيخ محمد عابد، ويستدعي بإلحاح وقفة علمية طويلة معه، هو كتاب (طوالع الأنوار) الذي شرح فيه كتاب (الدر المختار) في فقه السادة الحنفية للإمام الحصكفي محمد بن علي، المولود سنة ١٠٢٥هـ ، والمتوفى سنة ١٠٨٨هـ رحمه الله تعالى، وهو متن متين في فقه الحنفية، معتمد جداً عند متأخري الحنفية[١].

وعلى (الدر المختار) شروح وحواشي كثيرة، بلغت خمسة وعشرين عملاً علمياً[٢]، من أشهرها حاشية الإمام الطحاوي، وحاشية الإمام ابن عابدين.

أما شرح الشيخ محمد عابد فهو من أعظم تلك الشروح والأعمال العلمية على الدر المختار، وبخاصة من ناحية التدليل لمسائل الفقه الحنفي.

وقد قام الشيخ محمد عابد بهذا الشرح في آخر حياته العلمية في المدينة المنورة، وذلك بعد بلوغه تمام النضج، والكمال في العلوم كلها، وبخاصة في الفقه والحديث.

وهكذا قام الشيخ محمد عابد بهذا الشرح الحافل المبسوط، وأكثر من الاستدلال العجيب النادر للمسائل، مع بيانه في الغالب درجة الأحاديث التي يذكرها، كما أكثر من ذكر فروع المسائل في المذهب الحنفي.

وقد بلغ حجم هذا الكتاب لإحدى نسخه عشرة آلاف لوحة مخطوطة، بما يعادل أكثر من ستين مجلداً، بحجم مجلدات الكتب المطبوعة في هذا الزمن.

وقد وصف هذا الشرح صاحب اليانع الجني[٣] فقال:" هو شرحٌ حافل جداً، استوفى فيه غالب فروع مذهب أصحابه، واستوعب مسائل الواقعات والفتاوى، بحيث إنه لو قيل: لم يَفُتْه منها إلا النزر اليسير لم يُبِعد ذلك البعد.." أهـ.

---

[١] ينظر ثناء الإمام ابن عابدين على *الدر المختار* في مقدمة حاشيته (*رد المحتار*) ٣/١.

[٢] وقد جمعتها في بحث مستقل بها، مع دراسة فقهية موضوعية عنها.

[٣] لوحة ٣٦ / ب.

وهكذا فهو كتاب عظيم، يدعو للاهتمام به لإخراجه وإحيائه من عالم المخطوطات، وإيقاف أهل العلم عليه، وليكون رافداً لمكتبة الفقه الإسلامي عامة، ولمكتبة الفقه الحنفي خاصة.

النسخ الخطية لكتاب طوالع الأنوار:

هناك نسخة كاملة جيدة من الكتاب في المكتبة الأزهرية بالقاهرة، من وقفيات العلامة الفقيه الشيخ عبد القادر الرافعي، صاحب التقريرات على حاشية ابن عابدين، المتوفى سنة ١٣٢٣هـ رحمه الله تعالى، وهي نسخة في ستة عشر جزءاً، وعدد لوحاتها حوالي عشرة آلاف لوحة، وبالتحديد (٩٥٢٢) لوحة.

وتوجد صورة ميكروفيليمية عنها في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، برقم ١١٦إلى رقم ١٣٠ فقه حنفي.

كما توجد نسخة أخرى كاملة من الكتاب في تركيا في قصر طوب قابي سراي باسطنبول، وتقع في ثماني مجلدات كبار ضخام، تبدأ من رقم٤١٦١ إلى ٤١٦٨، وعدد لوحاتها (٣٣٦٠) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاتها (٣٧) سطراً. وهناك نسخ أخرى وأجزاء من نسخ متفرقة في مكتبات متفرقة.

١-بقية مصنفاته الفقهية مرتبة على حروف المعجم

٢-رسالة في إخراج زكاة الحبّ بالقيمة

وهي جوابٌ عن سؤال ورد للشيخ محمد عابد من أحد كبار علماء الشافعية باليمن، وهو الشيخ يوسف البطّاح، المتوفي بمكة المكرمة سنة ١٢٤٦هـ رحمه الله تعالى.

وقد جاء في مقدمتها: "هذا سؤال سأله مولاي العلامة الفهامة السيد يوسف البطاح، حين وفد إلى المدينة المشرفة زائراً سنة ١٢٣٤هـ ما ملخصه:

ما قولكم في إخراج زكاة الحبّ. هل يجوز إخراجها بالقيمة أم لا ؟ وهل يجوز إخراجه خُبزاً إذا كان أنفع للفقراء؟ وما يراعى في إخراج الخبز من

الحب؟.. بينّوا بياناً شافياً عن جميع الأطراف، والمسألة واقعة، والسائل مستفيد، جُزيتهم خيراً.

فقلت في جوابه: بسم الله الرحمن الرحيم.. وبعد فيقول أسير الشهوات محمد عابد.." إلخ.

والرسالة تقع في أربع صفحات بخط الشيخ محمد عابد، وفي كل صفحة (٢٥) سطراً، ضمن مجموع محفوظ بمكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، برقم (٨٢)، ويبدأ السؤال لوحة (٩٨ب) إلى آخر لوحة (١٠٠أ).

٣- إلزام عساكر الإسلام بالاقتصار على القَلَنْسُوة طاعةً للإمام

موضوع الرسالة مهمّ جداً في السياسة الشرعية، وفي بيان حدود طاعة الإمام الحاكم المسلم، كتبها جواباً لسؤال رُفعٍ إليه في سنة ١٢٤٦هـ ، نصُّه: " ما قولكم فيمن كان مأموراً من الإمام الأعظم بالاقتصار على القلنْسوة، وكان منهياً عن شدّ العمامة عليها، فهل يجب عليه السمع والطاعة، أم لا؟. فإن قلتم بالوجوب، فهل تكره الصلاة بالقلنسوة المفردة عن العمامة، أم لا؟

وما قولكم أيضاً فيمن أمره الإمام بلبس ثوب يمتاز به طائفة من الكفار، هل يجب عليه السمع والطاعة، أم لا ؟ بيّنوا تؤجروا" أهـ.

فكتب الشيخ محمد عابد هذه الرسالة في ٣ رجب سنة ١٢٤٦هـ ، وقد جاءت في خمس لوحات، وفي كل صفحة من لوحاتها ٢٨ سطراً.

والرسالة مشحونة بالفوائد الغزيرة فقهياً وحديثياً، كما هي عادة الشيخ محمد عابد، وبخاصة من ناحية التقاطه العجيب لأدلة متناثرة، يستنبط منها أحكام ما هو بصدده، قد جمعها نتيجة خبرة علمية طويلة دقيقة، فإنه كتب هذه الرسالة وقد قاربت سنة من الستين عاماً.

وهي بخط تلميذ المؤلف، الحاج أحمد بن عثمان خوجة، كتبها عن خط مؤلفها، في ٢٥ محرم سنة ١٢٤٧هـ بالمدينة المنورة، في حارة العينية، وهي من محفوظات دار الكتب المصرية، تحت رقم (٦٤٥) فقه تيمورية، ورقم (٢١٦٤٥) ميكروفيلم.

٤- تغّير الراغب في تجديد الوقف الخارب

هذه الرسالة جواب عن سؤال ورد للشيخ محمد عابد، ونصُّه كما جاء في مقدمتها بخط المؤلف الشيخ محمد عابد ما يلي:

".. أما بعد: فقد ورد في آخر ذي القعدة سنة ١٢٣٦هـ سؤال ما حاصله: أن مدرسة خربت، ولم يبق لها نقض، أعاد بناءها بعضُ أهل الخير من خالص ماله، فهل يصير البناء بمجرد وقوفه على الأرض الموقوفة وقفاً، أم لا من إنشاء الباني الآخر صيغة الوقف؟.

فإذا قلتم لابد من الإنشاء، فهل له أن يشترط لوقفه شروطاً جديدة غير ما شرطه الواقف الأول للبقعة أو لا ؟

فإن قلتم بأن له ذلك، فهل ما وقفه الواقف الأول من العقارات على المدرسة الخارجية تعود إلى هذه الجديدة، مع أنه لما خربت، صُرفت تلك العقارات إلى جهة أخرى قريبة منها، أم لابد من صرفها إلى جهتها الأولى إلى اللفظ من حاكم الشريعة؟.

ثم إن قلتم بردّها إلى المدرسة الجديدة، هل يستحق غلّتها مَن شرط له الواقف الثاني النظر والتدريس، أو لا؟. فقلت مستعيناً بالله.." إلى آخر الرسالة.

وهي في ثلاث صفحات، وفي كل صفحة (٢٥) سطراً، ضمن مجموع برقم (٨٢) شلبي، في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة من لوحة (٩٧أ) على (٩٨ب).

٥- الحظ الأوفر لمن أطاق الصوم في السفر

وهي رسالة كتبها الشيخ محمد عابد لبيان مسألة وقع فيها الخلاف بين الفقهاء: هل الصوم في حق المسافر في رمضان أفضل أم الفطر؟

وهكذا ذكر الحديث الوارد في المسألة، وهو قوله ﷺ : "ليس من البِرّ الصيام في السفر"، ثم استعرض رواياته كلها، وتتبع طرقه الواردة في كتب السنن والمسانيد وغيرها، وذكر أن عموم هذا الحديث معارض لأحاديث كثيرة، ثبت فيها صوم النبي ﷺ في السفر.

كما ذكر الأحاديث التي تحث على الأخذ بالرُّخص. ثم بحث الموضوع حديثياً وفقهياً وأصولياً، وحاول الجمع بين الأدلة ما أمكن، مع ذكر آراء العلماء في المسألة.

وهكذا جاءت الرسالة متضمنة لبحث كامل واسع في هذه المسألة، مشحونة بفوائد غالية متنوعة كثيرة، فقد قال الشيخ محمد عابد في مقدمتها: " أما بعد: فقد خطر في البال فوائد أصولية، ونُكات حديثية، ولطائف فقهية في حديث: " ليس من البر الصيام في السفر " فأردت تحريرها، ليدوم نفعها، وتتوفر فائدتها، والعلم صيد، والكتاب قيد، وها أنا أشرع في ذلك مستعيناً بالملك القدير، فإنه الميسرّ لكل عسير.

اعلم أن أكثر الأصوليين ذهب إلى أن اللفظ الذي ورد بعد سؤال أو حادثة إما أن لا يكون مستقلاً، ونعني به ما لا يكون كلاماً مفيداً.." إلخ.

وهذه الرسالة بخط مؤلفها، محفوظة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، ضمن مجموع رقمه (٢٦٤٠) ورقم الرسالة (١٥)، ولم يؤرخ المؤلف تاريخ تأليفه لها، وهي في أربع لوحات، وفي كل صفحة من لوحاتها (٢٦) سطراً.

٦- رسالة في حكم إطعام الطعام في مناسبات الفرح أو التَّرَح

وهي جواب عن سؤال رُفع إليه في ذلك، وقد ساق المؤلف في أول الرسالة طائفة كبيرة من الأحاديث النبوية في فضل إطعام الطعام.

وتقع الرسالة في (٦) لوحات، وفي كل صفحة من لوحاتها (١٨) سطراً ، وتوجد نسخة منها في مكتبة خزانة الرباط بالمغرب، ضمن مجموع برقم (١١٤٣) كتاني، وتبدأ من صفحة (٢٩) من المجموع إلى صفحة (٤١)، ضمن الرسالة الثانية من المجموع.

٧- الخير العام في أحكام الحمّام

ذكر هذه الرسالة الشيخ محمد عابد في كتاب: المواهب اللطيفة[1] حيث قال: " وأما آداب دخول الحمام على القواعد الطبيّة، فقد ذكرنا ذلك مفصّلاً في رسالتنا: الخير العلم في أحكام الحمَّام" أهـ.

٨- شفاء قلب كل سؤال في جواز مَن تسمّى بعبد النبي وعبد الرسول

وهي رسالة لطيفة في معناها، رشيقة في مبناها، جاءت في لوحتين وربع، وفي كل صفحة من لوحاتها ثلاثون سطراً، وقد سمّاها بهذا الاسم المؤلّف، كما جاء في مقدمتها، وهي جوابٌ لسؤال رُفع إليه في ذلك، بيَّن فيه الشيخ محمد

---

[1] ١/١٥٦أ.

عابد حكم المسألة بياناً شافياً، وتكلم عنها الناحية الفقهية، والحديثية والعقدية واللغوية والبلاغية وغير هذا.

والرسالة بخط تلميذه الحاج أحمد بن عثمان خوجة، كتبها بالمدينة المنورة في ٢٦ محرم سنة ١٢٤٧هـ ، وهي من مخطوطات دار الكتب المصرية بالقاهرة، تحت رقم (٦٤٥) فقه تيمورية.

٩- غُنْية الزّكي في مسألة الوصي

هذه الرسالة جواب عن سؤال أرسل إلى الشيخ محمد عابد، ونصّه كما جاء في مقدّمتها من كلام الشيخ محمد عابد قال: ".. وبعد: لما كان صفر سنة ست وثلاثين ومائتين، وأنا بالمدينة المشرفة، على مشرفها أفضل الصلوات وأكمل التسليمات، وصلتني من مكة المشرفة ورقة اشتملت على دعوى المدّعي، وشهادة الشهود، وفتوى مفتي وقتنا بها أبقاه الله تعالى، ونشر فيضه.

أخبرني مَن أطلقها علي، أن المفتي عوّل في تصويب ما حرر- إن كان صواباً- أو تبيّن ما فيه إن كان ثمة ما يوجب إصلاحه.

فتأملت ما فيها، فرأيت تحرير كلام لا غنى عنه... وتم تحريره سنة ١٢٣٧هـ ربيع الثاني..ط أهـ.

وهذه الرسالة في ٩ صفحات، وفي كل صفحة (١٦) سطراً، محفوظة بمكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مجموع برقم (٢٨) وتبدأ من لوحة (١٠٠ب).

١٠- القول الجميل في إبانة الفرق بين تعليق التزويج وتعليق التوكيل

وهي رسالة فيها جواب عن سؤال أرسله شيخ الحرم الرئيس المعظّم قاسم آغا إلى الشيخ محمد عابد، ونصّه كما جاء في مقدمتها من كلام الشيخ محمد عابد قال: ".. إني كنت في المدينة المشرفة في سنة ١٢٣٦هـ ، وأرسل إليّ شيخ الحرم الرئيس المعظّم قاسم آغا وفقّه ربه: في بكر بالغة طلب منها بعض

أقاربها أن توكّل زيداً في تزويجها من ابن عمها، فقالت: وكّلته إن رضيت أمي، فزوجها الوكيل من ابن عمه قبل أن تُشاور أمّها، وأنكرت الشهود التعليق.

فهل يصح هذا العقد؟ أم لابد من تجديد العقد بعد رضا أمها؟ أفتونا مأجورين. كتبه مفتي المدينة المنورة أبو بكر عبدالسلام الداغستاني.." إلخ.

ثم كتب الشيخ محمد عابد جوابه في صفحتين، وفي كل صفحة ٣٥ سطراً والرسالة بخط المؤلف الشيخ محمد عابد في مكتبة الشلبي، المحفوظة في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مجموع برقم (٨٢) لوحة ١٠٤.

١١- رسالة في تقبيل الصحابة رضي الله عنهم يد رسول الله ﷺ ورأسه الشريف، وحكم التقبيل عامة

وهي جواب عن سؤال رُفع إليه، ونصّه: هل ورد في الأحاديث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقبّلون يد رسول الله ﷺ الكريمة، أو رأسه أو قدميْه الشريفتين، أو غيره من أعضائه الشريفة، أم لا؟.

وقد جاء الجواب مع السؤال في كراسة تبلغ عشرين صفحة، وفي كل صفحة ٢١ سطراً، وفي كل سطر ٩ كلمات، وتوجد نسخة من هذه الرسالة في مكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، المحفوظة بمكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، برقم (٣٠) شلبي، من ص١٨ إلى آخر الرسالة ص٣٨.

وتوجد نسخة أخرى من هذه الرسالة كانت في ملك السيد محمد عبدالحي الكتاني، وآلت مع مكتبته إلى مكتبة خزانة الرباط بالمغرب، ضمن مجموع برقم (١١٤٣) كتاني، وهذه النسخة المغربية صحيحة مضبوطة، جاءت بخط نسخي جميل.

١٢- كفُّ الأماني عن سماع الأغاني

موضوع هذه الرسالة واضح من عنوانها، ولكن سبب تأليف الشيخ محمد عابد لها قد ذكره في مقدمتها بقوله: ".. هذه رسالة سميتّها: كفّ الأماني عن

سماع الأغاني، وأوجب ذلك أن بعض الأفاضل في أواخر رجب سنة ١٢٣٥هـ ، أرسل إليّ رسالة[1] من مكة المشرفة، وذكر أن بعض الأعيان الأجلّة أظهرها في هذه الأيام، وهذا لفظها من أولها: (قال الإمام حُجّة الإسلام أبو حامد الغزالي في رسالته المسماة بـ"بوارق الأسماع في تكفير من يحرم السماع" ما نصّه: قال: " وفي إنكار سماع الغناء، وسماع ضرب الدف والأصوات الحسنة، مخالفة السنُّة، ومخالفة السنة اعتقاداً أو تحريماً: كفر، والإعراض عنه، والانتهاء عنه فسق..").

أقول:- الشيخ محمد عابد- ونسبة هذا الكلام إلى الإمام الغزالي مما تمجّه الأسماع، وتنْفر عنه الطبّاع، والدليل على ذلك..إلخ. ثم قال: إذا علمت هذا، فلنذكر الأدلة الواردة في النهي عن سماع الغناء من الكتاب والسنة، ثم نصوص أصحابنا الحنفية الذين صرّحوا بتحريمه، ثم نتوجّه إن شاء الله تعالى إلى الجواب عما أورده محرّر الرسالة.." إلى آخر الجواب.

والرسالة تقع في ١٦ لوحة كبيرة، في كل صفحة من لوحاتها ٢٩ سطراً، وفي كل سطر١٨ كلمة، وهي بخط ابن عم الشيخ محمد عابد وتلميذه الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ محمد حسين الأنصاري المدني، وقد انتهى مؤلفها من تحريرها في غرة شعبان سنة ١٢٣٥هـ بالمدينة المنورة.

ووافق الفراغ من نسخ ابن عمه لها، في العشاء الآخرة من ليلة الاثنين لسبع بقين من الشهر المذكور، والعام المذكور، وهي من محفوظات مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مكتبة الساقزلي، برقم (١٣٩).

١٣- منال الرجاء في شروط الاستنجاء

أصل هذه الرسالة أن الشيخ محمد عابد كتب أولاً صفحة واحدة في شروط الاستنجاء، وسببُ جمعه لها ما قال في أولها:" إني لما رأيت بعض

---

[1] أي رسالة مؤلّفة في حِلِّ سماع الأغاني.

الناس يسألون العلماء الجهابذة تعنّتاً عن شروط الاستنجاء، فربّما تحير في جوابه مثلي القاصر، استخرت الله تعالى، وصرفت فكري إلى تحرير شيء في ذلك.." إلخ.

ولما اطلع على هذه الشروط بعض ملازميه، طلب أن يشرحها، فحرَّر شرحاً عليها في رسالة سمّاها: منال الرجاء في شروط الاستنجاء. وقد جاءت هذه الرسالة في سبع لوحات بخط الشيخ محمد عابد، وفي كل صفحة ٢١ سطراً، وهي محفوظة في مكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، بمكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مجموع برقم (٨٢) شلبي، وتبدأ من لوحة (١٠٨).

وأما الصفحة المفردة التي كتبها في شروط الاستنجاء أولاً، فهي في المجموع السابق نفسه، في لوحة (١٠٧)⁽¹⁾.

١٤- وله عدة مجموعات وحواشٍ على كُتُب الفقه الحنفي

كما قال الكتاني في فهرس الفهارس⁽²⁾: "وقد رأيت له تعليقات وحواشي كثيرة، مليئة بالفوائد على كتبه الخاصة التي كانت ملكه، ثم آلت بعد وقفه لها إلى المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، فما يخلو غالباً كتابٌ من كتبه في كل الفنون، إلا وتجد له عليه حواشي وإفادات، ومن ضمن هذه الكتب كتب الفقه الحنفي" ، ولعل هذا هو مراد الكتاني، والله أعلم.

ومما يضاف إلى مصنفاته الفقهية: شروحه على كتب الحديث- الآتي ذكرها، المتضمنة لأحاديث الأحكام، والتي ملأها الشيخ محمد عابد بالفقه المقارن على المذاهب الأربعة، مع التدليل الواسع للأقوال التي يذكرها، وهذه الكتب هي:

١- المواهب اللطيفة شرح مسند الإمام أبي حنيفة.

---

(1) وذكر هذه الرسالة أيضاً **الكتاني** في *فهرس الفهارس* ٢/٧٢١.

(2) ٢/٧٢٢.

٢- معتمد الألمعي المهذّب في حلّ مسند الإمام الشافعي المرتّب.

٣- شرح بلوغ المرام.

٤- شرح تيسير الوصول، وهو مليء بأحاديث الأحكام.

وأيضاً لو نظرنا إلى كتابه: " منحة الباري في جمع روايات صحيح البخاري"-الآتي ذكره- لرأينا أن من أعظم مقاصد وفوائد جمعه لهذه الروايات متتابعة متتالية، هو سهولة استنباط الفقه والأحكام منها، وذلك بتيسير الوقوف على تفسير بعض الروايات لبعضها الآخر، أو تقييد مطلقها، أو تبيين مجملها، أو تخصيص عامّها، أو توضيح مشكلها، أو ترجيح أحد احتمالاتها، أو إظهار ما خفي منها.

وهكذا نرى ثروة فقهية عظيمة، قد أكرم الله تعالى بها الإمام الشيخ محمد عابد، ووفقه لإنجازها، وعلى رأسها كتاب طوالع الأنوار، ذلك الكتاب الموسوعي العظيم، ثم يأتي بعده كتابه: المواهب اللطيفة شرح مسند أبي حنيفة، وشرح مسند الشافعي.

رحم الله محمد عابد، وأجرى له ثواب ما قدّم، وهيّأ الله الأسباب لخدمة وإحياء هذا التراث العظيم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

المنهج الفقهي للشيخ محمد عابد

تقدم في أقوال مترجمي الشيخ محمد عابد، والمثنين عليه بيانُ المكانة العالية المرموقة التي بلغها الشيخ محمد عابد السندي في فنون العلوم كلها، وإتقانه لها، حيث كان محققاً بارعاً مبرزّاً في كل منها، في القراءات والتفسير، وفي الحديث وفنونه، وفي الفقه وأصوله عامة، وفي الفقه الحنفي وأصوله خاصة، وكذلك في اللغة العربية، وغيرها من العلوم.

بل يمكن القول إنه ملك من العلوم ما يؤهله للاجتهاد والترجيح، ومع هذا فكان شأنه في الفقه شأن كبار الأئمة العلماء، الذين بلغوا تلك الرتبة الرفيعة،

لكنهم كانوا يلتزمون بمذهب من المذاهب الفقهية المعتمدة، ولا مانع بعد هذا أن يخرجوا عن ذلك المذهب الذي التزموه بعض خروج في مسائل معينة، لما يلوح لهم من أدلة أقوى من أدلة مذهبهم، تجعلهم يرجّحون القول الذي توصلوا إلى أنه أقوى دليلاً، على مذهبهم الذي قلّدوه، ومشوا عليه في عباداتهم ومعاملاتهم عموماً.

وهكذا كان حال الشيخ محمد عابد السندي، فهو من كبار فقهاء الحنفية، مقلّداً لهذا المذهب في غالب مسائله وفروعه، مع إتقانه التام لأدلة المذهب، وتحريه لتحريرها، والتدقيق في استنباط أحكام المذهب منها، ولكنه إذا ما لاحت له أدلة أقوى من أدلة مذهبه في مسألة ما، وظهر له الراجح فيها غير مذهبه، فإنه يصرح بترجيح ما توصل إليه من خلال بحثه، وإن خالف هذا مذهبه الحنفي. وكل ذلك بأدب تامٍ عالٍ، وبدون تعالٍ وتعالم وقدح بغيره.

ومن أقوى الشواهد والأدلة على منهجه هذا: واقع كتبه، كطوالع الأنوار، والمواهب اللطيفة، وشرح مسند الإمام الشافعي وغيرها، مع نصوص عديدة صريحة، ذكرها في أكثر من موضع من كتبه، تنطق بهذا المنهج الذي بيّنته عنه.

وسأذكر فيما يلي **ما وقفت عليه من أدلة على منهجه السابق**، ثم أعقب ذلك ببعض الأمثلة على ترجيحاته، وخروجه عن مذهبه الأصلي المذهب الحنفي.

١- فمن هذه النصوص المتتابعة الشاهدة على منهجه، والناطقة به، ما سطَّره هو بذاته في كتابه: تراجم شيوخه وشيوخ شيوخه(١)،وذلك في ترجمة العلامة الشيخ أبي الحسن الصغير، المتوفى سنة ١١٨٧هـ حيث قال عنه: " كان إماماً علامةً محققاً متفنّناً بارعاً في جميع العلوم، عالماً بالسنة وآثارها، عاملاً بها، مجتهداً لا عصبية فيه، قد عمل بخلاف مذهبه مذهب أبي حنيفة فيما

---

(١) لوحة ٢٨ب (مخطوط).

ظهر له الحق على خلاف قول إمامه، كشيخه محمد حياة، وشيخ شيخه أبي الحسن السندي الكبير.

فلقد أفاد وأجاد، فقد دُوِّنت الأحاديث، وبُيّنت طرقها وحُسناً وضعفاً ووضعاً، وبُيّن اختلاف السلف وعملهم، وقد رجع الإمام أبو يوسف ومحمد عن كثير من أقاويل أبي حنيفة، عملاً منهم بوصية شيخهما باتباع الحق حيث كان.

وتبعهما الطحاويّ، ومن متأخريهم المحقق ابن الهمام، وقد خالف في كثير، وفاقاً لبعض الأئمة؛ لقوة الدليل.

وهذا شأن العلماء الورثة للأنبياء، فإن المتابَع هو الرسول ﷺ ، والمجتهد يخطئ ويصيب، فإذا وضح الدليل، ولم يعارضه شيء، أو لا يقوم في مقابله شيء، لقوته عليك وجب الاتباع" أهـ .

وهذا النص منه بتفاصيله، يؤكد أن محلّ هذه الترجيحات فيمن كان أهلاً للاجتهاد والترجيح، وبلغ تلك الرتبة بتحقيق شروطها، أما غيرهم فلا يجوز التجرؤ على هذا المقام العالي، الذي كثر أدعياؤه، حتى صار سلعة رخيصة يسومها كل مفلس.

٢- وهذا تلميذه وصاحبه الشيخ لطف جحاف، حين رحل مع الشيخ محمد عابد إلى الحجاز سنة ١٢١٦هـ ، واستجازات من الشيخ صالح الفلاّني قال الشيخ جحاف: " ورأيت إمام الحرمين الشيخ صالح الفلاّني يُجِلُه ويُدنيه من محله، لشغفه بالكتب الحديثية، وتحريه لاتباع الدليل، مع تظهره بتقليد الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه(١)" أهـ.

٣- ويقول العلامة الشيخ الشجني تلميذ الشوكاني في التقصار(٢) في ترجمة الشيخ محمد عابد:"له يد طولى في الحديث، ولكنه يرجح في عمل دينه مذهب الحنفية على ما صح له.." أهـ

---

(١) *دور نحور الحور العين*(مخطوط) حوادث سنة ١٢٢٠هـ ، ومعنى قوله (مع تظهره) أي كان يتحرى اتباع الدليل، مع افتخاره بتقليده للإمام أبي حنيفة، وغلبة ذلك عليه، وقوته فيه، ويتبين هذا المعنى بمراجعة مادة (ظهر) في *القاموس المحيط*.

(٢) (مخطوط) لوحة ٢٠٠.

٤- ويصفه تلميذه الشيخ عاكش أيضاً بقوله: " وكان متحرياً لاتباع الدليل" (١).

٥- ويقول صاحب اليانع الجني(٢) لما ذكر طوالع الأنوار: " وهو حافل جداً، استوفى فيه فروع مذهب أصحابه، واستوعب مسائل الواقعات والفتاوى، بحيث إنه لو قيل: لم يفتْه منها إلا النزر اليسير، لم يُبعد ذلك البُعْد، وهو في بيان غالبها ساير أصحابه إلا قليلاً، والله أعلم" أهـ.

٦- ومن النصوص التي تؤكد منهج الشيخ محمد عابد السابق، ثناؤه على العلماء المتَّبعين لهذا المنهج. فهذا تلميذه الشيخ عاكش يحكي عن شيخه الشيخ محمد عابد، أنه كان يثني على علماء صنعاء كثيراً، ويقول: "قد طِفْت أكثر الآفاق، فلم أر مثل علمائها في التحقيق للعلوم، والاشتغال بالأحاديث، والتحري في عملهم في العبادة والمعاملة بما صحّ به النص" (٣) أهـ.

٧- ومما يدل على سعة صدره في الخلاف الفقهي، وعدم تعصبه لمذهبه تقريره جواز تقليد مذهب آخر غير مذهب الحنفية في المسائل الخلافية، ولو بعد الوقوع والنزول، وإن أدّى ذلك إلى التلفيق بينها، ولو من غير ضرورة.

فإنه بعد أن ذكر صاحب الدر المختار (٤) مذهب الحنفية في عدم الجمع بين الصلوات إلا في عرفات، قال الحصكفي:"ولا بأس بالتقليد عند الضرورة، ولكن بشرط أن يلتزم جميع ما يوجبه ذلك الإمام، لما قدّمنا أن الحكم الملفّق باطلٌ بالإجماع" أهـ.

قال الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار(٥) شارحا ذلك: " ولا بأس بالتقليد عند الضرورة " : ظاهره: أنه عند عدمها لا يجوز، وهو أحد قولين في

---

(١) *عقود الجواهر والدرر*.

(٢) لوحة ٣٥.

(٣) *عقود الجواهر والدرر، وحدائق الزهر*.

(٤) ٣٨٢/١ مع *حاشية ابن عابدين*.

(٥) ٤٨٥/١.

المذهب، والمختار جوازه، ولو من غير ضرورة، ولو بعد الوقوع والنزول، قاله السيد أحمد رحمه الله، وقد أُفرِدت مسائل التقليد برسائل عديدة على كلّ من القولين" أهـ.

وعلق الشيخ محمد عابد على قول صاحب الدر: " بأن الحكم الملّفق باطل" بما يدل على عدم رضاه، وذلك بما نقله وقرره، فقد ذكر الشيخ محمد عابد عقب هذه العبارة ما يلي:" فائدة: قال الشرنبلالي في رسالته المسماة: بالعقد الفريد لبيان الراجح من الخلاف في جوار التقليد: واعلم أنه يصح التقليد بعد الفعل، كما إذا صلى ظانّاً صحتها على مذهبه، ثم تبيّن بطلانها في مذهبه، وصحتَها على مذهب غيره، فله تقليده، ويجتزئ بتلك الصلاة، على ما قال في البزازية: رُوي عن الإمام الثاني، وهو أبو يوسف رحمه الله، أنه صلّى يوم الجمعة مغتسلاً من الحمّام، وصلى بالناس، وتفرّقوا، ثم أُخبر بوجود فأرة ميتة في بئر الحمّام، فقال: إذن نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة، إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث " أهـ من طوالع الأنوار.

٨- وذكر الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار(١)، في مسألة إعادة ظهر الجمعة، مراعاة لخلاف من يقول بإعادتها؛ لأن الجمعة لمن سبق، فبعد أن ذكر خلاف الفقهاء فيها قال: " وقال الشيخ أبو المعالي من علماء السند، المتوفى في حدود الثمانين والمائة والألف من الهجرة، ما لفظه:" إتيان الرجل بعد الجمعة بأربع بنية آخر ظهر عليه: لا أصل له في الشريعة، كما ذكره صاحب البحر وغيره. و[الأصل](٢) جواز الجمعة، وإن كان مختلفاً بين المذهبين،لكن تقرر في الأصول: أن من أتى بفعلٍ، فما دام يتردد بين أقوال الصحابة واختلاف العلماء، فسبيله الإمضاء.

---

(١) ٤٨٤/٢.

(٢) هذه الكلمة غير موجودة في المخطوط، وأضفتها لاستقامة النص.

ووجوبُ تقليد مجتهد معين لا حجة عليه، لا من جهة الشريعة، ولا من جهة العقل، كما ذكره الشيخ ابن الهمام من الحنفية في فتح القدير، وفي كتابه المسمى بتحرير الأصول.

وبعد وجوبه صرّح الشيخ ابن الحاجب في مختصر منتهى الأصول من المالكية، والمحقق عضد الدين من الشافعية، وذكر ابن أمير الحاج في التحبير شرح التحرير، أن القرون الماضية من العلماء أجمعوا على أنه لا يحل لحاكم ولا مُفْت تقليد رجل واحد، بحيث لا يحكم ولا يفتي في شيء من الأحكام إلا بقوله.

وأما إقامة الصلاة بجماعة فمنشؤها الجهل العظيم، والجهلُ بحرٌ ساحل له، وهو تعالى أعلم) انتهى من طوالع الأنوار.

فقد ذكر هذا الشيخ محمد عابد، ولم يعقب عليه بكلمة واحدة، مما يدل على تقريره لهذا المنهج الذي ذكره الشيخ محمد أبو المعالي السندي، والله أعلم.

٩- وكان من منهجه رحمه الله، كما هو شأن العلماء الراسخين، تقديم نصوص الشريعة على قول كائن من كان، إن ظهر له أن هذا القول خالف تلك النصوص، فقد قال في رسالته عن حكم إطعام الطعام: "لا يسع العالم المنصف المتمسك بذيل الحق إلا الرجوع إلى ما ثبت في ذلك عنه ﷺ والقول به، والاعتماد عليه، وهجر ما يخالفه، ولو كان القائل هماما " أهـ.

١٠- بل كان من منهج الشيخ محمد عابد، إنكاره الشديد على من يذكر مسألة فقهية عن هوى وعصبية، بدون دليل عليها ولا برهان.

من ذلك ما ذكره في طوالع الأنوار(١) في باب الإمامة في الصلاة شروطها، بعد أن نقل نصوصاً عن بعض الحنفية المتأخرين، في هل تجوز صلاة الحنفي خلف الشافعي؟ وهل تجوز مناكحة الشافعي لحنفية؟ فقال مُنكراً

---

(١) ٢/٢٢٧.

بشدة: " وأقبح منه منع مناكحتهم- أي الشافعية- وليس هو إلا محض تعصب، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا" أهـ.

وهذا المنهج للشيخ محمد عابد، وتأكيده على الاهتمام بذكر الأدلة لكل قول يُقال، حتى يُعتبر ويؤخذ به، واهتمامه الشديد بهذا بأدلة مسائل مذهبه الحنفي، هو معنى كلمته التي نقلها عنه الشوكاني في ترجمته في البدر الطالع(١)، حين رحل الشيخ محمد عابد إلى مصر، وعاد منها إلى اليمن، فسأله الشوكاني عن حال العلم وأهله في مصر، فأخبره: " باندراس العلم في الديار المصرية، وأنه لم يبق إلا التقليد والتصوّف" أهـ.

فهو غير منشرح الصدر لحال العلماء في مصر آنذاك، حيث قلَّ العلم عندهم، إذ اقتصر على التقليد، كعامة الناس، ولم يهتموا بالدليل والحجة والبرهان للمذاهب والأقوال التي يقلدونها، فهو يرجو لهم نشاطاً في العلم وقوة، وزيادة بحث وتدقيق فيه، لا أنه يريد ذم التقليد عموماً، إذ لابد من التقليد.

ويؤكد هذا الفهم صياغة الإمام الشجني في التقصار(٢) لجواب الشيخ محمد عابد بقوله : " ولم يبق بها إلا القليل من العلم أو التصوف".

بعض المسائل الفقهية التي رجّح فيها الشيخ محمد عابد غير مذهب الحنفية

أذكر هنا بعض المسائل الفقهية التي رجح فيها الشيخ محمد عابد السندي غير مذهبه الحنفي ، وذلك على سبيل المثال، مما يسر الله تعالى لي الوقوف عليه، لا على سبيل الاستقصاء. وسأذكر عنوان المسألة فقط، وبيان رأيه فيها، دون سرد لنصه الذي فيه الترجيح، مع الإحالة إلى مكانه، وأبيّن رأي المذهب الحنفي الذي رجّح غيره:

١- مسألة حرم المدينة المنورة، وهل يجوز الصيد فيه وقَطْع شجره أم لا ؟ رجّح الشيخ محمد عابد كراهة الصيد فيه وقطع شجره لما ورد من

---

(١) ٢/٢٢٧-٢٢٨.

(٢) لوحة ٢٠٠.

أحاديث في تحريم المدينة(١)، مع أن رأي المذهب الحنفي هو جواز ذلك وإباحته.

٢- مسألة القراءة خلف الإمام، رجّح فيها الشيخ محمد عابد قول الإمام محمد، وهو وجوب القراءة على المقتدي في السرية، وقال: " هو أعدل الأقوال، وهو الذي عليه جمهور الصحابة، وبه تنتظم الأدلة التي تُذكر في القراءة خلف الإمام وعدمه، وبه يندفع التعارض الواقع بين الأحاديث المسندة والآثار المختلفة" (٢).

مع أن المذهب المعتمد عند الحنفية هو عدم القراءة خلف الإمام، لا في السرية ولا في الجهرية، بل تكره القراءة خلفه كراهة تحريم، كما نقل هذا ابن الهمام وغيره عن أهل المذهب(٣).

٣- مسألة رفع اليدين في تكبيرات الانتقال، وسّع الشيخ محمد عابد الأمر في هذه المسألة، ولم يرجّح قولاً من الأقوال، فإنه بعد أن ذكر قول الجمهور القائلين باستحباب الرفع، وقول الحنفية القائلين بعدم الرفع، بل بكراهته(٤). قال: " إن ابن مسعود إنما أخبر بما شهده من الرسول، وغيره أخبر بما شهد، وكلا الحديثين صحيح، وليرجّح المجتهد ما يرجّح"(٥).

وأذكر فيما يلي نموذجين من المسائل الفقهية المقارنة مما كتبه الشيخ محمد عابد، ليطلع القارئ على واقع منهجه الفقهي من خلال هذين النموذجين، وهما

---

(١) *طوالع الأنوار* ١/٤٣٦-٤٣٧(مخطوط).

(٢) *المواهب اللطيفة* ١/٢٤٥ مخطوط.

(٣) *الهداية* مع شروحها *فتح القدير* وغيره ١/٢٩٤، *الدر المختار* مع *حاشية ابن عابدين* ١/٥٤٤.

(٤) *حاشية ابن عابدين* ١/٥٠٦.

(٥) *المواهب اللطيفة* ١/٢٢٧.

من شرحه على مسند الإمام أبي حنيفة، الذي يعد من شروح كتب أحاديث الأحكام، الجامعة بين الفقه والحديث.

نموذجان من المسائل الفقهية المقارنة مما كتبه الشيخ محمد عابد

١- مسألة اشتراط المحرم لسفر المرأة

ذكر الشيخ محمد عابد في كتابه: المواهب اللطيفة شرح مسند أبي حنيفة[1] عند شرحه لحديث:"لا تسافر المرأة يومين إلا مع ذوي محرم" قال: "ففي الحديث دليل على منع المرأة من السفر إذا لم يكن معها زوجها أو ذو محرم لها وأجاز الشافعي رحمه الله سفرها مع النسوة الثقات، والحديث ردٌّ عليه، إلا أنه استدل بحج أمهات المؤمنين في أيام عمر رضي الله عنه.

فقد أخرج البخاري عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أذن عمر لأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها، فبعث معهن عثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وزاد البيهقي: " وكان عثمان يسير أمامهن، وعبدالرحمن خلفهن، وعلى هوادجهن الطيالسة الخضر".

وفي رواية له: " فإذا نزلن، أنزلهن بصدر الشعِّب، فلم يصعد إليهن أحد، ونزل عبدالرحمن وعثمان بذنب الشعب". وروى ابن سعد من مرسل أبي جعفر الباقر قال: " منع عمر أزواج النبي ﷺ الحج والعمرة، حتى إذا كان آخر عام، فأذن لهن".

واختلف العلماء في أن المَحْرم للمرأة، هل هو من الاستطاعة، حتى لا يجب عليها الحج إلا بوجود المحرم، أم لا ؟

فقال أبو حنيفة باشتراطه، وتبعه أحمد، وقال مالك والشافعي: لا يُشترط ذلك. واستدل أبو حنيفة وأحمد بحديث الباب، فإن سفرها للحج من جملة الأسفار الداخلية تحت المنع، فيمتنع إلا مع المحرم.

---

(١) ١/١٩٨-١٩٩.

والذين لم يشترطوا أجازوا سفرها مع رُفقة مأمونين إلى الحج، رجالاً أو نساءً في سفرها. ومع امرأة واحدة: خلاف في مذهب الشافعي.

وهذه المسألة تتعلق بالنصيّن إذا تعارضا، وكان كل واحد منهما عامّاً من وجه، وخاصّاً من وجه بيانه: أن قوله تعالى: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ يدخل تحته الرجال والنساء، فيقتضي ذلك أنه إذا وجدت الاستطاعة المتفق عليها، أن يجب عليها الحج.

وقوله ﷺ: " لا تسافر المرأة.." الحديث، خاص بالنساء، عام في الأسفار، فيقوم في كل واحد من النصين عموم وخصوص، ويحتاج إلى الترجيح من خارج، وقد وجدنا ذلك فيما أخرجه الدارقطني عن أبي أمامة: "لا تسافر المرأة سفر ثلاثة أيام أو لحج إلا ومعها زوجها".

وعند الشيخين عن ابن عباس مرفوعاً: " لا تسافر المرأة إلا مع ذوي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم. فقال رجل: يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا، وامرأتي تريد الحج؟ فقال: أُخرج معها".

فقد أوجب الشارع ﷺ وجود المحرم في سفر الحج، فليس لأحد أن يخرج في سفر الحج عن عموم الحديث، ويخصص بقول الله تعالى: ﴿ولله على الناس﴾الآية. بل ذلك مما يدل على أن المحرم من الاستطاعة. والله أعلم.

غير أن حجّ أمهات المؤمنين مشكلٌ جداً، ولم أظفر بما يجاب عنه، إلا أن نقول:(لهنّ مزية لم توجد لغيرهن، وهو أن نكاحهن محرم أبداً، لكونهن أمهات للمؤمنين، وهذا وصف عظيم ينبغي مراعاته، وعدم اطراحه، فتأمل) أهـ.

٢- مسألة استحباب الإسفار بصلاة الفجر

ذكر الشيخ عابد في كتابه: المواهب اللطيفة شرح مسند أبي حنيفة(١). عند شرحه لحديث: "أسفروا بالصبح، فإنه أعظم للثواب" قال: " وعند أصحاب السنن

---

(١) ١/١٨١/١٨٣- وعزا في *طوالع الأنوار* ١/٤٦٢ أ للتوسع في مسألة الإسفار إلى المواهب اللطيفة.

والبيهقي والدارمي من حديث رافع بن خديج. حسن صحيح. قال الحافظ: وصحّحه غير واحد.

وقد أوّلت الشافعية الإسفار، بأن المراد منه: تبيّن طلوع الفجر، ووضوحه للرائي يقيناً. قال ابن دقيق العيد: وفي هذا التأويل نظر، فإنه قبل التبيّن والتيقن في حالة الشك لا تجوز الصلاة، فلا أجر فيها.

ثم ذكر الشيخ محمد عابد قول ابن الهمام على من حمله على المجاز، ثم قال: وأما ما قاله الشيخ أبو الحسن السندي" إن ظاهر حديث ابن حبّان ومن وافقه يقتضي تأخير صلاة الفجر إلى آخر وقتها، وهو خلاف ما اتفق عليه الفريقان، فلابد له من التأويل".

فهو كلام مردود؛ لأن تلك الروايات وإن اقتضت إيقاعها، أو إيقاع جزء منها بعد خروج وقتها، فلا شك أنه يشملها النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس، خصوصاً عند رعاية قوله: "لا يتحرى أحدكم فيصلي عند طلوع الشمس". فإذا كان النهي مقيداً بعدم بقاء الوقت بعد طلوع الشمس، كان المراد من أعظمية الإسفار ما سنذكره في حدّه، فإن المحدود من الوقت، قد يخرج منه الغلس بالضرورة، فلا يكون الإسفار، فتكون الأعظمية ظاهرة، وهي مشهودة بالتجارب، فافهم.

وأما ما قال أيضاً: "وأقرب التأويلات حمله على طول القراءة، فإنه المناسب لازدياد الأجر، حسب ازدياد الإسفار، لا مجرد الإسفار، كيف وقد علمت أن أعظم الأعمال أجراً أشدّها على النفس، ولاشك أن ذلك في التغليس لا الإسفار، فكلّما زاد الإسفار، خفّت الصلاة على النفس " انتهى.

فهو كلام خال من التحقيق؛ لأن ترتّب زيادة الاجر على زيادة المشقة ليست على سبيل العموم، فناهيك الوصال منهي عنه، مع أن المشقة فيه متوفرة. وتأويله بطول القراءة، تقتضي ما اقتضته رواية ابن حبان، فإن القراءة ربما

يطيلها المصلي حتى يخرج الوقت، وذلك غير مرادٍ بالإجماع، والله أعلم" أهـ. (من المواهب اللطيفة).

ثم بيّن الشيخ محمد عابد حدّ الإسفار ووقته، وذكر بطول أدلة الحنفية وأدلة القول الثاني، وهو قول الشافعي ومالك وأحمد، أن المستحب هو الصلاة بغلس، ثم قال: " فالحاصل أن الأئمة قد اتفقوا جميعاً على أن وقت صلاة الفجر إنما يدخل بعد طلوع الفجر الصادق، ويمتد إلى طلوع الشمس، ولا مخالف في ذلك، وإنما الخلاف في الأفضلية في وقت الإتيان بها.

فذهب الشافعية ومن وافقهم إلى أن التغليس أفضل، واستدلوا بالأحاديث التي ذكرناها، وذهبت الحنفية ومن وافقهم إلى أن الإسفار بها أفضل، لأمور قدمناها" وزاد أدلة أخرى، ثم قال: " ومنها حديث: أسفروا بالفجر"وقد تقررت صحته عند المحدثين، وما روَوْه من فعله ﷺ من التغليس بالفجر، فهو فعلٌ، وذاك قول، والفعل يحتمل الخصوصية، بناءً على أنه ﷺ لما رأى كون الناس حديثي عهد بالإسلام، يألفون القيام من النوم بسهولة، كان يصلي بهم بغلس، حتى إذا كان أحدنا تأخر انتباهه من النوم، ممن لم يصل مع النبي ﷺ أدرك وقتاً صالحاً لصلاته، بخلاف ما لو واظب على الصلاة بهم في الإسفار، لتراخوا في القيام من النوم، وربما أفضى ذلك في بعضهم إلى فوات الوقت.

فما كان تغليسه ﷺ إلا خالصاً بهذا المعنى، وعلى هذا ينزّل حديث عائشة، وسائر من روى التغليس في صلاة الفجر. ثم نبههم مع ذلك على أن الإسفار بها أفضل، كما نبههم بأن تأخير العشاء إلى ثلث الليل أفضل، مع أنه كان ﷺ يواظب على أدائها بهم جماعة قبل ذلك.

فنحن لا ننكر تغليسه ﷺ، كما أنكرت الشافعية إسفاره ﷺ بصلاة الفجر، مع ما أوضحناه من الأدلة الصريحة، في أنه صلاها في الإسفار أيضاً.

ولم يذكروا جواباً صريحاً في حديث: "أسفروا في الفجر" وإنما احتاجوا إلى تأويلات فاسدة قد قررنا بطلانها فيما سبق، فالأولى للمنصف أن يقول: إنه ﷺ صلى الفجر بغلس، وصلى بالإسفار أيضاً، ونبّه على فضيلة الإسفار، فما تغليسه إلا للمصلحة التي ذكرناها، والله أعلم" أهـ (من المواهب اللطيفة).

الفصل الثاني: بقية العلوم التي برع فيها الشخ محمد عابد، ومصنفاته فيها

المبحث الأول: إتقانه للقرآن الكريم وعلومه ومصنفاته فيها

لقد كان الشيخ محمد عابد من قرّاء القرآن الكريم المبرزين، المتقنين لقراءته على القراءات المشهورة، قراءة تحقيق وبيان وتجويد، وكان من البارعين في علم التفسير، وما يتصل به من علوم، ولم يكن مشتهراً بهذا الجانب، كاشتهاره في الحديث والفقه.

إتقانه للقراءات المشهورة: إن علم القراءات هو من أول العلوم التي حصّلها وأتقنها على عمّه الشيخ محمد حسين الأنصاري السندي، ولذا نرى الشيخ محمد عابد يتحدّث بنعمة الله عليه في ذلك، وبما منّ الله به عليه في هذا الجانب، فيقول في أول كتابه: حصر الشارد: " ولما كان كتاب الله تعالى مقدّماً، لم يسعني إلا أن أذكر أسانيدي في بعض القراءات، ثم رتبت الباقي على حروف المعجم. فأقول: قد منّ الله تعالى علي- وله الحمد- بقراءة القرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته على قراءة الأئمة السبعة المشهورين برواتهم الأربعة عشر، المحصورة من طرقهم المشهورة، وهم.. وذلك بما تضمنته المنظومة المعروفة بالشاطبية، قراءة تحقيق وبيان وتجويد، مراراً متعددة على شيخي العلامة الفهامة زينة دهره، وقدوة عصره، الحاوي لعلم الأديان والأبدان، الجامع للفنون العقلية والنقلية، والموضح لها بأحسن بيان: عمي وصنو أبي الشيخ محمد حسين

بن محمد مراد الأنصاري الخزرجي الأيوبي نسباً، السندي بلداً، النقشبندي طريقة، والحنفي مذهباً رحمه الله، وبوّأه دار كرامته.

قال شيخنا: قرأت بها على والدنا وشيخنا الحافظ الإمام المحقّق ولي الله تعالى، العارف الشيخ محمد مراد بن محمد يعقوب بن محمود الأنصاري السندي.

قال: قرأت بها جميع القرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته على شيخنا الإمام الهمام مقتدى الأنام الشيخ محمد هاشم بن عبدالغفور بن عبدالرحمن السندي التتّوي.

قال : قرأت بها على جماعة أجلّهم: علامة دهره حجة الله على أهل عصره الشيخ عبدالقادر بن أبي بكر بن عبدالقادر الصديقي نسباً، المكي بلداً، الحنفي مذهباً، مفتي الحنفية بمكة المشرفة. قال: قرأت بها على ولي الله تعالى العارف، عمدة القراء، وقدوة الحفاظ أبي البقاء حسن بن علي العجيمي.." إلخ السند.

براعته في علم التفسير ومصنفاته فيه: إن مما يشهد على براعة الشيخ محمد عابد في علم التفسير، وتقدّمه فيه وإتقانه له: ما كتبه هو من شرح مطول محرر، مليء بالفوائد الأوابد، على قطعة من تفسير الإمام القاضي البيضاوي، كتبها قبل وفاته بثلاثة أعوام تقريباً، أي في سنّ كمال نضجه العلمي.

فقد وقفت على مجلد بخطه، في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم (١٦٤) جاء على طرته ما يلي: "هذا من شرح على تفسير البيضاوي، لكتابه محمد عابد بن أحمد علي الأنصاري الخزرجي السندي، شرع في تحريره يوم الجمعة ١٧ ذي القعدة، سنة ١٢٥٢هـ في المدينة المشرفة أعانه الله تعالى على إتمامه من الأول والآخر، وجعله ينتفع به الخاص والعام، في كل محفل ومقام.

وهذه القطعة التي وقفت عليها، في هذا المجلد الضخم، تبدأ بتفسير آية رقم (١٥) من سورة المائدة من ربع الحزب الأخير من الجزء السادس، إلى بداية ربع الحزب الأخير من الجزء التاسع، أي من قوله تعالى: ﴿ أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ إلى تمام سورة المائدة، ثم تأتي سورة الأنعام كاملة، ثم سورة الأعراف إلى تمامها. وعلي هذا، فقد شملت هذه القطعة تفسير ثلاثة أجزاء من كتاب الله عز وجل.

وأما قدر ما شرحه الشيخ محمد عابد من تفسير البيضاوي، فهو من صفحة ١٢٣ إلى صفحة ٢٣٣، من الطبعة العثمانية (سنة ١٣٢٩هـ)، والتي صورتها دار الجيل فيما بعد، مع ملاحظة أن هذه الطبعة قد وُضع في وسط الصفحة منها نص القرآن الكريم، وجعل التفسير في حاشية الصفحة، وتقدر هذه القطعة لو ضُمَّت سطورها المتفرقة إلى بعضها البعض بحدود (٥٠) صفحة.

وأما قدر كتابة الشيخ محمد عابد على هذه الخمسين صفحة من تفسير البيضاوي، فقدت جاءت في مجلد ضخم، عدد أوراقه (٤٣٤) لوحة كبيرة، أي (٨٦٨)، صفحة، وفي كل صفحة من لوحاتها (٤١) سطراً كلها بخطه الدقيق الوسط، ولا ريب أن هذا قدْرٌ كبير جداً في شرح هذه القطعة اليسيرة من تفسير البيضاوي.

ويحسن هنا ملاحظة أن الشيخ محمد عابد لا يكتب في هذه القطعة تفسيراً لسورة الفاتحة والبقرة، التي جرت عادة المفسرين الإطالة فيهما، ثم تضعف الهمم غالباً عن السير على تلك الخطة الطويلة في تفسيرهم، إنما هو يفسر سورة المائدة والأنعام والأعراف.

وكان زمن انتهاء الشيخ محمد عابد من شرح هذه القطعة من تفسير البيضاوي، في أول يوم من ذي الحجة، سنة ١٢٥٤هـ ، في المدينة الشريفة

النبوية، على مشرفها أفضل الصلوات والتسليمات، وأكمل التحية، كما جاء في آخرها، ثم قال: "ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لإتمامه من الأول والآخر، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم" أهـ .

وقد عاش الشيخ محمد عابد بعد هذا التاريخ ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر ونصف الشهر، فلا أدري هل كتب شيئاً غير هذا أم لا ؟

وليعلم عظيم قدر عمل الشيخ محمد عابد في شرحه هذا، فإنه لابد من معرفة القدر الكبير لتفسير البيضاوي، وما حواه هذا التفسير من علوم كثيرة، وما يحتاجه من يقوم بشرحه من العلوم والفُهوم، ولكن المقام يضيق عن ذلك.

المبحث الثاني: براعته في الحديث النبوي الشريف وعلومه، ومصنفاته فيها

أجمع كل من ذكر الشيخ محمد عابد السندي على تقدمه والثناء عليه في علم الحديث، رواية ودراية، وعلى اطلاعه الواسع جداً، كما أجمعوا على شغفه وحبه لكتب الحديث، وذلك منذ ريعان شبابه، وهكذا حتى كان محدّث الحجاز ومسنده بلا منازع.

١- فقد قال العلامة المحدث الشيخ إبراهيم الحوثي في تقريظه لكتاب منحة الباري: (وبالجملة فإن هذا المؤلَّف قد دلّ مؤلفه على حفظ باهر للسنة النبوية، ورسوخ ملكة في استحضار الأحاديث المروية " أهـ.

٢- ويصفه تلميذه العلامة الشيخ عاكش(١) بقوله: " العلامة المحدث الحافظ النقّاد، عالي الإسناد، وكان يستحضر متون الأحاديث، ويعرف عللها، وله في نقد الرجال يد طولى، وإذا تكلم لسعة حفظه، فكأنما يملي من صحيفته إملاء" أهـ.

---

(١) حدائق الزهر، عقود الجواهر والدرر.

٣- ويصفه صاحب اليانع الجني[١] بقوله: " الحافظ الحجة المتقن، محدث دار الهجرة، وناصية الفقهاء والمحدثين، علم الهدى والسنة. ووصفه أيضاً بقوله:" المحدث الحافظ المتقن، محيي السنة حين عَفَت رسومها، وهجرت علومها".

وهكذا الأخبار تترى عن الشيخ محمد عابد السندي في إمامته وبراعته في الحديث النبوي وعلومه، ونشاطه العجيب في جمع كتبه واستنساخها وإقرائها، مما تقدم ذكره في نشاطه العلمي.

وسأعرض فيما يلي مصنفاته وآثاره التي كتبها في فن الحديث النبوي الشريف وعلومه، لتكون شهادة واقعية على إمامته في هذا الفن، تؤكد بيقين شهادات وثناءات العلماء عليه، وليقف عليها من يريد الاستفادة من علومه ومواهبه، فيكون ذلك حافزاً له على خدمتها ونشرها، ليعمّ نفعها، ولتبقى ذكراً حسناً، وعلما نافعاً يجري ثوابه لصاحبه رحمه الله تعالى، وأجزل له الأجر والعطية.

مع التذكير هنا أن عدداً من كتبه الحديثية هذه يمكن إلحاقها بكتبه الفقهية، إذ هي شروحٌ لكتب حديثية غالبها أحاديث أحكام، وواقع شروحه هذه هو فقه مقارن بين المذاهب الفقهية الأربعة.

مصنفاته في الحديث الشريف وعلومه

تنوعت مؤلفات الشيخ محمد عابد في علم الحديث، فمنها ما اتصل بالحديث النبوي الشريف من ناحية المتون ورواياتها، ومنها ما يتعلق بشرح الأحاديث وفقهها، ومنها ما هو في فن مصطلح الحديث، وأخرى في الأسانيد وتراجم الرجال، وهكذا.

وفيما يلي لتلك المصنفات، بدءاً بمؤلفاته المتصلة بمتون الأحاديث النبوية وشرحها، ثم مؤلفاته المتصلة بمصطلح الحديث، ثم الأسانيد والتراجم.

---

[١] لوحة ٣٥.

(أ) مصنفاته في متون الأحاديث النبوية وشروحها

١- *منحة الباري في جمع روايات صحيح البخاري:* هكذا جاء اسم الكتاب على طرة نسخة المؤلف، وكذلك في مقدمته، في حال أن تلميذه الشيخ عاكش[١] سماه: منحة الباري بمكررات البخاري" متابعاً للطف الله جحاف[٢]، ثم تابعهما على ذلك ابن زبارة والزركلي [٣]. ويقع الكتاب في مجلد كبير، بخط المؤلف الدقيق في (٤٨٣) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاته (٢٨) سطراً، وهذه النسخة محفوظة في المكتبة المحمودية برقم (٦١٠) وتاريخ كتابتها سنة ١٢٢٠هـ.

ثناء العلماء على كتاب منحة الباري: وفي بيان لمزايا الكتاب وفوائده العظيمة الحديثية والفقهية والأصولية.

لقد تلقى العلماء العارفون كتاب: (منحة الباري) بقبول حسن تام، كما قال مؤلّفه الشيخ محمد عابد في مقدمته (وسيحمد كتابي هذا مَن فاقت في علم الحديث معرفته، وطابت سجيته، وتنزّهت عن الحقد والحسد سريرته).

ومن هذه الثناءات على الكتاب: ما قاله صاحبه وتلميذه الشيخ لطف الله جحاف: "ولمترجم- الشيخ محمد عابد- معرفة بصحيح البخاري كاملة، فإنه ألف في مكرَّراته مؤلفا بديعاً حسناً، تلقّاه الناس بالقبول وسمّاه: منحة الباري بمكررات البخاري، وتناقله الناس في حياته)[٤] أهـ.

ويقول العلامة المحدث المفنّن الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن إسماعيل الحوثي الحسيني، فيما كتبه على غلاف نسخة المؤلف من منحة الباري، تقريظاً

---

[١] *حدائق الزهر*.

[٢] *درر نحور الحور العين* (مخطوط).

[٣] *نيل الوطر* ٢/٢٧٩، *الأعلام* ٦/١٨٠.

[٤] *درر نحور الحور العين* (مخطوط)، ونقل العبارة نفسها الشيخ *عاكش* في *حدائق الزهر*، وفي *عقود الجواهر والدرر*، ولم يعزها *لجحاف*.

له: "وبعد: فإني وقفت على هذا المؤلَّف الجليل، والمصنَّف الذي ليس له في بابه مثيل، والمجموع الذي لم يؤلف- فيما علمت- على مثاله، ولم ينسج في القديم والحديث على منواله، جَمَع ما فرّقه أبو عبدالله البخاري رضي الله عنه، من روايات الأحاديث على الأبواب، وضبطها عن الانتشار، ليسهل أخذها من ذلك الكتاب، من التنبيه على المواضع التي خرجها فيها ذلك الإمام، والإشارة إلى فائدة التكرير الذي قصد به استنباط الأحكام، لعزوه كل رواية إلى بابها، فتبرز للعالم مخدّرات الأحكام عن حجابها، وتتجلّى له أوجه الاستنباط بكشف نقابها.

وإن في جمع رواياته فوائد عديدة، كتفسير بعض الروايات، وتقييد مطلقها، وتبيين مجملها، وتخصيص عامّها، وتوضيح مشكلها،وترجيح أحد محتملاتها، وإظهار ما خفي منها، ونحو ذلك مما يفيد العالمِ سهولة الاستنباط، ويكفيه مؤونة البحث الشديد.." أهـ.

٢- ***ترتيب مسند الإمام أبي حنيفة برواية الحصكفي:*** هذا المسند الذي رتّبه الشيخ محمد عابد على الأبواب الفقهية، هو مسند الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، صاحب المذهب رحمه الله، من رواية الإمام القاضي العلامة المحدّث موسى بن زكريا الحصفكي، المتوفي سنة ٦٥٠هـ[١] رحمه الله تعالى.

يقول الشيخ محمد عابد في مقدمة ترتيبه لهذا المسند: (لما كان مسند الإمام الأعظم، والمهام الأقدم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه، من رواية الحصكفي مرتباً على أسماء شيوخه، بحسب ما روى عنهم رحمهم الله تعالى، وكان استخراج الحديث منه مشكلاً، خصوصاً لمن لا يدري شيخ الإمام في ذلك

---

[١] وقد اختصره الحصكفي من المسند الكبير الذي جمعه الإمام عبدالله بن محمد بن يعقوب الحارثي (٣٤٠)، ينظر: الإمام علي القاري ص٣٢٩.

الحديث، أردت أن أرتبه على الأبواب الفقهية، ليسهل البحث فيه، مستعيناً بالله، إنه مفيض الخير والجود"[١].

وتوجد نسخة مخطوطة من هذا المسند المرتّب، في جامعة الملك سعود في الرياض، في ١٥٨ ورقة، وتاريخ نسخها سنة ١٢٧٣هـ، وقد طبع في كراتشي بباكستان هذا المسند المرتّب، مع شرح له اسمه:"تنسيق النظام في مسند الإمام" للعلامة الفقيه المحدث الشيخ محمد حسن السنبهلي، المولود سنة ١٢٦٤هـ، والمتوفي سنة ١٣٠٥هـ رحمه الله تعالى، كما طُبع مفرداً عدة طبعات.

٣- ***المواهب اللطيفة في شرح مسند الإمام أبي حنيفة:*** واسمه الكامل كما سماه مؤلفه" المواهب اللطيفة في الحرم المكي على مسند الإمام أبي حنيفة من رواية الحصكفي".

وهو شرحُ لكتابه السابق الذكر: ترتيب مسند الإمام أبي حنيفة. وأذكر هنا مقدمة المؤلف الشيخ محمد عابد، ليعلم عظيم عمله في هذا الشرح الكبير الحافل، وما قام به من جهد جليل نادر، فقد قال رحمه الله تعالى: ".. وبعد: فإني لما رويتُ عن مولاي العلامة، وشيخي الفهّامة أستاذ المحققين، وسند المحدَّثين، الشيخ صالح الفُلاَّني، مسند الإمام أبي حنيفة رحمه الله، الذي كان من رواية الحصكفي إجازة، كما رويتُ عنه جامع مسانيد الإمام الأعظم لمحمود الخُوارزمي، ولم أجد من كل منهما إلا نسخة غير مرضية في الصحة، بل كان الغالبُ عليها التحريف والتصحيف".

وكنتُ عثرت على شرح ملا علي القاري على رواية الحصكفي، وكان أيضاً كثير الغلط، ولعله شرح على نسخة غير سالمة من الغلط الفاضح؛ وذلك

---

[١] مقدمة ترتيب المسند، من الطبعة التي معها شرح تنسيق النظام ص٢.

لأنه شرح ذلك الكلام كما وجده، ويؤوله بالتأويلات الغير المرضية[١]، كما سيأتي التنبيه في شرحي هذا، إن شاء الله تعالى.

فلما كان كذلك أفرغت وسعي في ترتيبه على الأبواب الفقهية، ثم في حل ما اشتمل عليه ذلك المسند من رواية الحصكفي من الأحاديث، وتوضيح مشكلها، ورفع مرسلها، ووصل منقطعها، وبيان من أخرجها من الأئمة المشهورين بالضبط والإتقان، كأصحاب الكتب الستة و غيرهم من الأئمة الحفاظ النقّاد، ذوي التصانيف المشهورة، التي يعتني بأخذها المشايخ، كمسند الشافعي وأحمد والدارمي، وموطأ مالك وسنن الدار قطني، والبيهقي، والمعاجم الثلاثة للطبراني ومسند البزار وأبي يعلى الموصلي، وغيرها من المسانيد المشهورة.

وقد بالغت في إيراد المتابع للإمام في كل حديث ظفرت به، حتى لا يتوهّم بأن الإمام رحمه الله تعالى قد تفرّد برواية هذا الحديث عن شيخه، ومما لم أظفر بالمتابع، ووجدت ذلك الحديث المرويّ موجوداً في أحد الدواوين المذكورة، نّبهت عليه، وأوردت ما ظفرت به من الشواهد في حديث الباب، وتكلمت في المسائل الفقهية بقدر طاقتي، والله تعالى ولي التوفيق.

ولما كان ابتداء شروعي له في مكة المشرفة، سمّيته بـ"المواهب اللطيفة في شرح مسند الإمام أبي حنيفة من رواية الحصكفي". جعله الله من الأعمال المقبولة بين يديه، إنه ذو الفضل العظيم" أهـ.

ومن ثناءات العلماء على هذا الشرح ما قاله صاحب اليانع الجني[٢] بعد أن ذكر عمل الشيخ محمد عابد فيه، قال: " وهو كتاب نفيس، فيه أشياء يكثر نفعها للفقيه والمحدث" أهـ.

---

[١] وكذلك نّبه إلى هذا الشيخ السنبهلي في مقدمة تنسيق النظام حيث قال: " وشرح القاري قد استعجل فيه غاية الاستعجال، حتى فَرطَ منه ما فرط، من سبق الإسراع، لاسيما في معرفة الرواه والرجال، على ما ترى وتجد في الاستقبال".

[٢] لوحة ٣٦.

ولعمري هو شرح عظيم نادر، فلم يحظ مسند الإمام أبي حنيفة- حسب اطلاعي- بمثل هذا الشرح، فقد ملئ الكثير من جواهر ودُرر الفوائد الحديثية والفقهية وغير ذلك.

وقد تقدم كلام المصنف في أهمية هذا الشرح من الناحية الحديثية، لكنه أجمل الكلام عن أهميته من الناحية الفقهية، والحق أن العمل الفقهي فيه جليل، لا يقل أبداً عن عمله الحديثي فيه، بل إن العمل الحديثي فيه مسخّر لخدمة الفقه، واستنباط الأحكام وتقوية الأدلة والحجج.

مزايا وخصائص" المواهب" فقهياً

يتجلى عظيم قدر العمل الفقهي في هذا الشرح، ببيان مزاياه وخصائصه، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١- لما كان مؤلف هذا الشرح هو محمد عابد، وكان محدّثاً حافظاً بارعاً، له اليد الطولى في الحديث، وكان له اهتمامٌ بالأدلة والبراهين على المسائل الفقهية، فقد أضفى ذلك كله على ما يذكره من المسائل الفقهية المستنبطة من الأحاديث المذكورة في المسند ميزة تحلّى بها، قلّ أن تجدها عند غيره من الشرَّاح، فإنه حين يذكر خلاف الفقهاء في المسألة المستنبطة من الحديث يتوسّع كثيراً بإيراد الروايات المختلفة للحديث المستدل به على هذه المسألة، مع تخريج تلك الروايات، وبيان درجتها، ويدعمها بالمتابعات والشواهد، مما يجعل الحديث قوياً صالحاً للاستدلال به، مع أن الناظر في الحديث لأول الأمر، يرى أن الحديث ضعيف لا يقوى على معارضة غيره من الأدلة(١).

---

(١) ينظر كمثال على ذلك *المواهب اللطيفة* ج١ لوحة ١٢٤. وأنبه هنا إلى أن الأمثلة كثيرة على الفقرة الأولى هذه، وكذلك الفقرات التالية، ولا أريد الإطالة بذكر مثال لكل منها، وإنما هي إشارات تتضح لكل من وقف على الكتاب، وقد أطلت في بعضها لدعاء الحاجة إلى ذلك.

٢- يمتاز كلام المؤلف عن فقه الحديث، وما اشتمل عليه من أحكام فقهية، أنه كان على المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة المعتمدة، ولم يقتصر على مذهب صاحب المسند، مذهب السادة الحنفية.

٣- يهتم المؤلف بتحرير الأقوال الفقهية التي ينقلها في المسألة، ولا يذكر إلا المعتمد منها، المفتى به، وعلى سبيل المثال، فإنه حين تكلم عن مسألة حكم القليل غير المسكر المتّخذ من غير العنب[1]، وهي مسألة مشهورة عند الحنفية، فبعد أن ذكر قول الإمام وصاحبه أبي يوسف في حلّ ذلك، وذكر قول محمد بن الحسن، موافقاً للجمهور فيعدم حلّه، فإنه بعد هذا أتى بنقول كثيرة عن أئمة فقهاء الحنفية المعتمدين، بأن المفتى به في المذهب في هذه المسألة هو قول محمد بن الحسن، وأنه يحرم القليل منه والكثير، وبهذا يتفق الحنفية في المفتى به عندهم مع الجمهور، وهو ما قرره الشيخ محمد عابد، في حين أن كثيراً ممن كتب في هذه المسألة، ينسب للحنفية قولاً واحداً، وهو حل ذلك، ولا يحرّرون المعتمد في المذهب الذي أوقفنا عليه الشيخ محمد عابد جزاه الله عن العلم وأهله خيراً.

٤- ومما يمتاز به الشيخ محمد عابد رحمه الله في شرحه هذا،كما هي عادته، أنه يهتم بأمر التوثيق، والعزو الصحيح لما يذكره من أقوال، ولا يذكر إلا ما وقف عليه بنفسه، وهذا أمر مهم جداً في العالم، أن يكون متثبتاً من كل ما يكتبه وينقله. وعلى سبيل المثال، فإنه حين جاء لذكر الأدعية التي تُقال عند المشاعر في الحج قال[2]: " واستحب بعض العلماء أدعية كثيرة، ولما لم أجدها فيما كان عندي من كتب الحديث، لم أذكر شيئاً" أهـ.

٥- يُعتبر هذا الكتاب (المواهب اللطيفة) من أعظم كتب شروح أحاديث الأحكام، حيث إن نَفَس المؤلف طويل في تناول الحديث بالشرح من كل

---

[1] *المواهب اللطيفة* ج٢، لوحة ١٩١-١٩٢.

[2] *المواهب اللطيفة* ج١ لوحة ٥١٥.

النواحي، مع التنسيق والترتيب، فقدت جاء حجم الكتاب في (١٠٠٠) لوحة، أي نحو سبع مجلدات، بحسب الطباعة الحديثة التي نعيشها اليوم. ولذا يضاف هذا الشرح إلى كتب المكتبة الإسلامية في أحاديث الأحكام وشروحها، ويُعدّ رافداً مهما لها في هذا الباب.

٦- إن الناظر في الكتاب بدقة، والمطّلع عليه اطلاع دراسة وبحث، ليعجب من ناحية جمع المؤلف لروايات الحديث، وربط بعضها ببعض، والتوفيق بينها، ما أمكنه لذلك سبيلاً، لإزالة التعارض الظاهر بينها، وهذا أمرٌ مهم جداً بالنسبة للفقيه، والمستنبط للأحكام، وفي هذا دُرْبَةٌ غالية مهمة لطالب العلم، الدارس لهذا الكتاب، لينميّ في شخصيته العلمية هذه الملكة.

٧- لما كان المؤلف الشيخ محمد عابد ضليعاً باللغة العربية، متقناً لعلومها وفنونها، كان أثر ذلك واضحاً جداً في بيان اللغويات التي يحتاج إليها المقام في شرح الحديث، وما يترتب على ذلك من أحكام فقهية، نتيجة للمعنى اللغوي لهذا اللفظ الوارد في الحديث.

٨- يتفرّد المؤلف بذكر فوائد كثيرة لم يُسبق إليها من شرّاح الأحاديث، ويكثر نفعها للمحدّث والفقيه، كما قال صاحب اليانع الجني.

٩- بل يعتبر هذا الكتاب (المواهب اللطيفة) من كتب الفقه المطوّلة، التي يحال إليها، ويعتمد عليه فقهياً، وبخاصة من ناحية الاستدلال، حيث حقق فيه الشيخ محمد عابد كثيراً من المسائل الفقهية، بتحقيقات مبسوطة نفيسة نادرة.

ولذا نجد المؤلف في مواطن كثيرة من كتابه (طوالع الأنوار شرح الدر المختار) ذلك الكتاب الفقهي العظيم، التي بلغت إحدى نسخه عشرة آلاف، نراه يعزو فيه إلى كتابه هذا (المواهب اللطيفة) حيث ألّفه قبل طوالع الأنوار، وتوسّع فيه، فهو يُحيل عليه لمن أراد التوسع والازدياد، والأمثلة على ذلك كثيرة.

١٠- كما يمتاز هذا الشرح أيضاً بالتنسيق والترتيب في شرح الحديث، فيبدأ المؤلف أولاً بإيراد الحديث، ثم يترجم للصحابي الراوي له، ثم يتكلم عن رجال سنده، ثم يشرح غريب ألفاظه، ثم يبدأ ببيان روايات الحديث المذكور، ويوضح مشكلها، ويحاول مع مرسلها، ووصل منقطعها، مع إيراد المتابعات للحديث، ويتوسع في بيان من أخرج تلك الروايات للحديث.

١١- هذا الشرح العظيم هو من أهم شروح مسند الإمام أبي حنيفة، برواية الحصكفي، حيث إن شرح الإمام ملا علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٤هـ ، مختصر جداً، بل هو بمثابة حاشية أو تعليقة، وعليه أيضاً بعض المآخذ والملاحظات، وقد سبق تنبيه الشيخ محمد عابد عليها، وكذلك تنبيه صاحب تنسيق النظام، ثم هو على المسند غير المرتّب، واسم شرحه: مَسنَد الأنام في مُسند الإمام⁽¹⁾.

أما شرح الشيخ محمد عابد فهو على المسند المرتب، الذي عمله أولاً، وهو بهذا البسط في الشرح، وسعة التخريج لأحاديثه، مع المزايا المتقدمة الذكر، يعتبر لا مثيل له، بل لم يأت من بعده إلى هذا الزمان- حسب اطلاعي- أحدٌ قام بمثل عمل الشيخ محمد عابد.

---

(1) هكذا جاء اسمه على طرة النسخة المخطوطة في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، برقم (٨٥) ضمن مجموعة (قره باش)، وتاريخ نسخها (١٠٣٠هـ)، بمكة المكرمة، وهي مقابلة على نسخة المؤلف، الذي انتهى منه سنة (١٠١٢هـ)، وتقع في (١٨١) ورقة. وقد ضبط الناسخ العنوان، فوضع فتحةً على الميم الأول (مَسنَد)، وضمة على الميم الثانية (مُسند). أما الشيخ **محمد عبدالرشيد النعماني** فسمّاه في كتابه: *مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث* ص٣٥ باسم: *سَند الأنام في شرح مُسند الإمام*. وتوجد نسخة أخرى مخطوطة من شرح ملا علي القاري، في متحف طوب قابي سراي، برقم (٢٥٤٠).

وقد قام أيضاً بشرح هذا المسند الذي رتبه الشيخ محمد عابد، عالم متأخّر عنه هو الإمام العلامة الفقيه المحدث الشيخ محمد حسن السنبهلي، المولود سنة ١٢٦٤هـ ، والمتوفى سنة ١٣٠٥هـ ، رحمه الله تعالى، وسمّى شرح: تنسيق النظام في مسند الإمام، وهو مطبوع في كراتشي بباكستان على الطباعة الحجرية.

ويظهر من مقدمته، ومن خلاله، أن مؤلّفه لم يطّلع على شرح الشيخ محمد عابد، وهو شرح نفيس، لكنه بمثابة حاشية متوسطة على المسند، وقد قدّم تراجم رجال أسانيده في ١٢٣ صفحة من القطع الكبير، فجعلها في مقدمة شرحه، أما الشرح فجاء في ٢٣٥ صفحة من الحجم نفسه، وقد وصف هذا الشرح العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة(١). رحمه الله تعالى. فقال" : هو كتاب عظيم للغاية، ومقدمته في ١٢٣ صفحة من القطع الكبير الهندي، حُشيت بأغلى الدرر والنفائس" أهـ.

ومع هذا يبقى عمل الشيخ عابد أعظم وأنفس وأوسع منه بكثير.

النسخ الخطية لكتاب (المواهب اللطيفة)

١- توجد النسخ الأصلية بخط المؤلف رحمه الله، في مجلدين ضخمين في مكتبة الشيخ محبّ الله شاه الراشدي، في قرية (بير جَنْدو) ببلاد السند، القريبة من مدينة كراتشي.

وتوجد صورة ورقية عن هذه النسخة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في جزأين، الأول منهما برقم (٣١٧٤)، و (٤٠٠) مكرر، ضمن المكبرات الورقية، وعدد صفحاته (٥٩٠) أي (٢٩٥) لوحة، وفي كل صفحة ٣٢ سطراً، وقد سقطت الصفحة الأخيرة منه، وينتهي بنهاية شرح كتاب الحج.

---

(١) في تعليقاته على كتاب: *قواعد في علوم الحديث* **للتهانوي** ص٦٨.

والجزء الثاني منهما برقم (٣١٧٥) و (٤٠٠٣) مكرر، ضمن المكبرات الورقية، وعدد صفحاته (٤٩١)، أي (٢٤٦) لوحة، وفي كل صفحة ٣٢ سطراً. وهذه الصورة السابقة الذكر غير واضحة تماماً، وبخاصة في بعض اللوحات.

وقد انتهى مؤلفه الشيخ محمد عابد من تسويده سنة ١٢٣٢هـ في بندر (المخا) في اليمن.

٢- وتوجد صورة عن الجزء الأول من نسخة أخرى للكتاب، في مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مصوّرة عن أصل محفوظ في المكتبة الشرقية للمخطوطات بحيدر آباد (الآصفية)، وتاريخ النسخة سنة ١٣٢٦هـ. ويقع هذا الجزء في (٥٦٧) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاته (٢٥) سطراً، وفي كل سطر (١٤) كلمة، وبه ينتهي آخر كتاب الحج من المسند المرتّب، واسم ناسخه: إسماعيل بن محمد.

٣- وتوجد صورة عن الجزء الثاني من الكتاب، من نسخة ثالثة، يبدأ بكتاب النكاح، وينتهي بآخر المسند، محفوظة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مصوّرة عن أصل محفوظ أيضاً بالآصفية، ولكن تاريخ نسخه سنة (١٢٥١هـ) أي في حياة المؤلف، ويقع هذا الجزء في (٤٤١) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاته (٢١) سطراً، وفي كل سطر (١٥) كلمة.

وناسخه هو نور علي بنجابي، نَسَخَه من نسخة المؤلف، بسعاية الشيخ عظمة الله هندي دهلوي، وتم مقابلته بأصله في الحرم النبوي الشريف، وإلى هذين الجزأين كان عزوي في هذا البحث، وهناك نسخ أخرى يضيق المقام عن ذكرها.

٤- ترتيب مسند الإمام الشافعي: ذكر هذا الكتاب مؤلّفه الشيخ محمد عابد في حصر الشارد⁽¹⁾، عند ذكره لمسند الإمام الشافعي، فقال:" وأما مسند الإمام الشافعي، فهو عن الأحاديث التي أسندها الشافعي، مرفوعها وموقوفها، الواقعة

---

(1) لوحة ١٧٣.

في مسموع أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم(١) التي كان انفرد بروايتها عن الربيع بن سليمان (ت٢٧٠هـ) من كتاب الأم والمبسوط، إلا أربعة أحاديث من الجزء الأول، رواها الربيع عن البويطي عن الشافعي، التقطها بعضُ النيسابورين، وهو أبو جعفر محمد بن جعفر بن مطر(٢) من الأبواب.

ويقال: بل جردها الحافظ أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر لأبي العباس الأصم. وقيل: بل جردها الأصمّ لنفسه. ولم يرتب الذي جمع أحاديثه على المسانيد، ولا على الأبواب، بل بالتقاطها كما اتفق؛ فلذلك وقع فيها تكرارٌ في كثير من المواضع، وقد وفّقني الله تعالى، فرتّبْتُه على الأبواب الفقهية، وحذفتُ منه ما كان مكرّراً لفظاً ومعنى، ووقع إتمامه في سنة ١٢٣٠هـ. ثم شرحت نصفاً منه، وأسال الله تعالى أن يكمّله، ويجعله خالصاً لوجهه، وينتفع به الخاص والعام" أهـ.

وقال في مقدمة ترتيبه هذا: "... وبعد: ... لما فَرَغْتُ من ترتيب مسند الإمام الأقدم، والهُمام الأعظم أبي حنيفة النُّعمان بن ثابت، وكان مسند الإمام الشافعي الذي رواه القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن الربيع بن سليمان عن مقتدى الأمة إمام الأئمة أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وبوّأه دار كرامته، غير مرتّب على الأبواب الفقهية؛ ولذلك كانت يُشكل البحثُ فيه على الطالب، خصوصاً عند

---

(٢) الإمام المحدث المسند الثقة، المولود سنة ٢٤٧هـ، والمتوفى سنة ٣٤٦هـ، رحمه الله تعالى، له ترجمة في *تذكرة الحفاظ* ٨٦٠/٣، *سير أعلام النبلاء* ٤٥٢/١٥.

(٣) محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابوري، الإمام القدوة العامل المحدث المزكي شيخ العدالة، وهو انتقى الفوائد على أبي العباس الأصم، فأحيا الله علم الأصم بتلك الفوائد، توفي سنة ٣٦٠هـ ت رحمه الله تعالى، عن خمس وتسعين سنة، كما في *سير أعلام النبلاء* ١٦٢/١٦.

إيراده للحديث في غير مظانّه، أو تكراره للحديث في مواضع متفرقة من كتابه، استخرتُ الله تعالى في جمعه وترتيبه وتهذيبه وتبويبه، فانشرح صدري لذلك، وشرعت مستعيناً بالله تعالى فيما هنالك، إنه مفيضُ كل خير وجود، وإليه يفتقر كل موجود، جعله الله تعالى من خالص الأعمال، ينتفع به الخاص والعام في كل الأحوال. آمين" أهـ.

وختم الشيخ محمد عابد ترتيب المسند بقوله: " قال جامعه: وهذا ما أردت من ترتيب مسند الإمام المجتهد زينة الأوائل محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله وبوّأه دار كرامته، وكان الفراغ من ذلك بعد العصر يوم الخميس، ليلة عشرين من ربيع الأول سنة ١٢٣٠هـ.

ونقلتُ ذلك من نسخة مرّت عليها أقلام العلماء المتقدمين، وحضرت في مجالسهم المتعددة، والغالب عليها الصحة المفرطة، إلا أن بعض المواضع وجدتُ فيها ما لا ينبغي الاعتماد عليها، ولكن لما كانت النسخة التي استعنت بها، والحديث يراعى فيه الرواية، ما وسعني إلا الجمود على ما وجدت وسأنبه إن شاء الله تعالى في هامش الكتاب على تلك المواضع، وإن وفّقني الله تعالى على شرحه، فسيأتي التحقيق التام فيه.

وكان الشروع في جَمْعه في شهر ذي القعدة، سنة ١٢٢٩هـ ، بعد ما ركبتُ في ساعية لسفر الحج، وكان تمامه في اليوم المذكور سابقاً، عند رجوعي من أرض الحرمين، في مسجد القنفذة وجامعها، وما كان يمكنني كتابته إلا في السواقي والمنازل، وما هذا إلا نعمة من الله تعالى، حيث شغلني بالسنة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية، في أوقات لا تسمح لمثل هذا العمل، لا أحصي ثناءً على الله، كما هو أثنى على نفسه، والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات، وآله أولي السعادات، وصحبه ذوي الكرامات " أهـ.

وهكذا أتم الشيخ محمد عابد الترتيب والتهذيب على أكمل نظام ، وأحسن انسجام ، " كان هذا المسند الجليل ينقصه هكذا حسن التبويب فيحول ذلك دون استثمار فوائده بأيسر نظرة ، وقد قيض الله لخدمته المحدث المسند الشيخ محمد عابد السندي ، فإنه عني بترتيبه وتهذيبه أنفع ترتيب ، وأمتع تهذيب ، فكان أجر ملء هذا الفراغ مدخورًا له ، ليضاعف الله سبحانه حسناته ، ويرفع درجاته " (١).

وقد طبع هذا الترتيب محققاً سنة ١٣٧٠هـ ، وجاء على صفحة عنوان الكتاب ما يلي : "تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله الشيخ السيد يوسف علي الزواوي الحسني ، من علماء الأزهر الشريف ، والأستاذ البحاثة السيد محمد عزة العطار الحسيني ، مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية بالقاهرة .

كما قام بتصحيحه اللغوي الأستاذ الشيخ محمد مصطفى ، المدرس بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية ، وعرف بالكتاب ، وترجم للمؤلف العلامة المحدث الكبير صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً " أهـ .

وكان اعتمادهم في إخراجه على عدة نسخ خطية، منها نسختان بدار الكتب المصرية برقم (١٨٣٢) و (٢٣٥٢).

٥- معتمد الألمعي المهذب في حل مسند الإمام الشافعي المرتب(٢) : وهو شرح لكتابه السابق الذكر: " ترتيب مسند الإمام الشافعي" وأوله يبدأ بقول المصنّف:" الحمد لله الذي شهدت لوحدانيته الآيات، البينة في الأرض والسموات.."، وقد

---

(١) ص ص: ٦-٧ من تقديم الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله لترتيب المسند .

(٢) هكذا جاء اسم هذا الشرح في فهرس مخطوطات قصر (طوب قابي سراي) في تركيا، وهو فيه برقم (٢٥٤٧) وعنه أخذ أصحاب الفهرس الشامل (١٥٢٧/٣)، فسمّوه بهذا الاسم:" معتمد.." في حين أن محقق" ترتيب المسند" سمّاه فيما علقه ص ٢٠٠ باسم: "*مِصْعَد الألمعي المهذب*" والصواب في اسمه (معتمد) كما هو واقع المخطوطة التي اطلعت على صورة عنها.

تقدم النقل عن" حصر الشارد" من كلام المؤلف الشيخ محمد عابد أنه شرح نصفه، وسأل الله العون على إتمامه ، وكان ذلك سنة ١٢٤٣هـ، سنة انتهائه منه.

وهكذا عاش المؤلّف الشيخ محمد عابد بعد هذا النص ثلاثة وعشرين عاماً، وحقّق الله تعالى له حظاً وافراً مما رجاه، فوصل في شرحه إلى نصف النصف الثاني من الكتاب، وبذا يكون قد شرح ثلاثة أرباع المسند تقريباً.

أما عن مخطوطات شرح الشيخ محمد عابد على مسند الإمام الشافعي (معتمد الألمعي المهذّب)، فيوجد شرح النصف الأول من الكتاب إلى آخر الحج، في تركيا في متحف طوب قابي سراي، برقم ٢٥٤٧[1]، وتاريخ نسخها سنة ١٢٣٣هـ ، وعدد لوحاته ٣٦٦، وهي بخط المؤلف.

وأما بقية شرحه من النكاح إلى المكان الذي وصل إليه، فقد وقفت على قطعه كبيرة منه في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، برقم (٥٤٥) بخط المؤلف، وعدد أوراقها (١٤٠)، وفي كل صفحة من لوحاتها (٣٦) سطراً، لكنها مبتورة من الأخير.

وتبدأ هذه القطعة بشرح أول كتاب النكاح، وتنتهي مكان بترها عند الحديث قبل الأخير من الباب الثالث من كتاب الحدود من المسند، وعنوانه: فيما جاء في قُطّاع الطريق، وحكم من ارتدّ أو سحر، وأحكام أخر. وهذا الحديث يقع في المطبوع من ترتيب المسند ص٨٩، مع ملاحظة أن المسند المرتّب ينتهي ص٢٠٠.

وقد كتب الشيخ محمد عابد على طُرَّة نسخته هذه ما يلي: "هذه من شرح مسند الإمام الشافعي، شرعت في تسويده يوم الأربعاء ١٠ صفر سنة ١٢٥٥،

---

[1] *فهرس مخطوطات* طوب قابي سراي ١٠٩/٢، وعنه *أصحاب الفهرس* الشامل ١٥٢٧/٢، وقد حصلت على صورة عنها ولله الحمد.

وقد أصابني في ذلك اليوم إسهالٌ وحمّى، فأسال الله تعالى العافية، وتمام هذا على أحسن عبارة، وأشرحِ إشارة.. آمين" أهـ.

وعلى هذا يكون بين تاريخ شرحه للنصف الأول، وتاريخ شرحه لهذه القطعة من النصف الثاني ٢١ سنة، حيث انتهى من شرح الأول سنة ١٢٣٤هـ، كما جاء في آخره، وكأنه توفي رحمه الله قبل إتمامه؛ وذلك لأن أهل التراجم نصوا على أن الشيخ السنبلاويني المكي قد أتمّه.

ميزة هذا الشرح وقيمته العلمية والفقهية:

جاء هذا الشرح " معتمد الألمعي المهذّب" من الشيخ محمد عابد السندي، على غِرار كتابه الآخر: "المواهب اللطيفة في شرح مسند الإمام أبي حنيفة"، وذلك من الناحية الحديثية والفقهية، فقد اعتنى بشرح مسند الإمام الشافعي، وحلّ عويصاته ومشكلاته الحديثية والفقهية، على الطريقة نفسها في المواهب اللطيفة، وبنَفَس متوسط في التخريج، مع ذكره لخلاف الفقهاء وأدلتهم، وما إلى ذلك، وفي من الفوائد الغالية ما لا تجده في غيره.

وما قلتُه سابقاً في المواهب اللطيفة من قيمة علمية هنا أيضاً، وبخاصة من الناحية الفقهية، فهو شرح مطوّل لكتاب من كتب أحاديث الأحكام، المهمة المتصلة بمذهب السادة الشافعية.

ومما يدل على توسعة وبسطة في المسائل الفقهية فيه، أنه كان كثيراً ما يحيل في كتابه الموسوعي "طوالع الأنوار شرح الدر المختار" للتوسع في مسألةٍ ما إلى شرح مسند الإمام الشافعي. ومن ذلك ما جاء في طوالع الأنوار(١) في مسألة حكم الصلاة النافلة وقت الاستواء قال: " أباحه أبو يوسف يوم الجمعة، لما في مسند الشافعي: (٢) أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة نصف النهار حتى تزول

---

(١) ج١ لوحة ٤٧٠أ.

(٢) ١/١٣٩.

الشمس إلا يوم الجمعة". ثم قال: " وقد بسطت ذلك في شرح مسند الشافعي، وبيّنت ثمةّ ما في سند الحديث" أهـ.

٦- شرح تيسير الوصول: كتاب" تيسير الوصول" هو مختصر لجامع الأصول، لابن الأثير المبارك بن محمد، المتوفي سنة ٦٠٦ هـ رحمه الله تعالى، اختصره الإمام ابن الدّيبع الشبياني عبدالرحمن بن علي الزّبيدي الشافعي، المتوفي سنة ٩٤٤هـ رحمه الله تعالى.

وقد ذكر هذا الكتاب الشيخ محمد عابد في كتابه: " حصر الشارد "[1] عند ذكره لكتاب" تيسير الوصول" حيث قال: "ولي عليه شرحٌ مبسوط إلى كتاب الحدود من حرف الحاء، علّقته في صغري، واستوهبه مني بعض سادات (المنيرة) بقرب (الزيدية)[2]، فوهبت له المسوّدة، وإلى الآن [3] لم يبيّض منه شيء، أسال الله التوفيق لإتمامه وتهذيبه، إنه على ذلك قدير "أهـ. وحين ذكر هذا الكتاب صاحب اليانع الجني[4] قال: ".. وكان ألّفه في ريق من عمره، واستوهبه بعض سادات (المنيرة) بقرب (الزيدية)، فوهب المسودة له، ولذلك لم نقف عليه " أهـ.

وعلى هذا فالكتاب جار على سنة المؤلّف وعادته في بسط الكلام وعدم الاختصار، والمتوقع أن يكون البسط فيه من الناحية الحديثية والفقهية، كسائر شروحه. وإن نصّ الشيخ محمد عابد على تأليفه له في الصغر، مما يشهد على تقدّمه علمياً في سنٍ مبكرة من عمره، كما أقر له بذلك مشايخه وغيرهم.

---

[1] لوحة ٦٠.

[2] المنيرة والزيدية بلدتان صغيرتان من مدن اليمن شمالِ الحديدة، قريبتان من ساحل البحر.

[3] سنة ١٢٤٠هـ وقت تأليفه لكتاب: حصر الشارد.

[4] لوحة ٣٦ أ.

أما عن مقدار ما شرحه الشيخ محمد عابد من"تيسير الوصول"، فهو ربع الكتاب، إذ هو مطبوع في أربعة أجزاءٍ في مجلدين، وكتاب الحدود هو بداية الجزء الثاني من المجلد الأول.

وقد جمعتُ عدد أحاديث هذه القطعة المشروحة، فبلغت (١٥٨٣) حديثاً، وهو لاشك قدر كبير، وعليه فالمتوقع أن يكون هذا الكتاب (شرح تيسير الوصول) كبير القدر والمقدار. ويشمل هذا المجلد الأول من (تيسير الوصول) على كتاب الإيمان والإسلام،والأمان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأسماء والكنى ، والآنية، وكتاب البر، والبيع، والبنيان، والتفسير وتلاوة القرآن، وتعبير الرؤيا، والثناء والشكر، والجهاد، والحج والعمرة.

ويلحظ في هذا تنّوع موضوعات الكتاب، إذ هي مرتبة على حروف المعجم.

٧- كتاب" بلوغ المرام من أحاديث الأحكام" هو للحافظ الشهير ابن حجر العسقلاني، المتوفي سنة ٨٥٢هـ ، رحمه الله تعالى، وهو مجلد لطيف، وقد ذكر غير واحد، من مترجمي الشيخ محمد عابد السندي، أن له شرحاً على بلوغ المرام، فهذا صاحب اليانع الجني(١) يقول: "وقال لي بعض من أثق به: إنه رأى له شرحاً لمختصر ابن حجر في الأحكام، المسمى ببلوغ المرام، غير أنه لم يكمله".

وذكر الزّركلي في الأعلام (٢) " أن قطعةً منه في المدينة المنورة" أهـ. وقد بحثت عنه كثيراً في مكتبات المدينة المنورة للمخطوطات، وكذلك فيما تيسر لي من فهارس مخطوطات المكتبات المشهورة، فلم أظفر بشيء.

٨- كشف الباس عما رواه ابن عباس مشافهة عن سيّد الناسﷺ:

ذكر هذه الرسالة الزّركلي في الأعلام(٣)، ووضع صورة عن جزءٍ من صحفتها الأولى، وفيها عنوان الرسالة بخط المؤلف، وذكر أنها محفوظة في الخزانة

---

(١) لوحة ٣٦ب، وينظر *فهرس الفهارس* ٧٢١/٢، *إيضاح المكنون* ١٩٦/١، وغيرهم.

(٢) ١٨٠/٦.

(٣) ١٨٠/٦.

التيمورية(١) بمصر. ثم يسرّ الله تعالى لي تصويرها، فوجدت على صفحة عنوانها أيضاً إجازة بخط الشيخ محمد عابد لشيخ الإسلام عارف حكمة، بتاريخ سنة ١٢٣٥هـ.

والرسالة تقع في خمس لوحات ونصف، بخط الشيخ محمد عابد، وفي كل صفحة من لوحاتها (٢٧) سطراً، وقد جاء في مقدّمتها: ".. إني لما اطّلعتُ على ما ذكره الحافظ ابن حجر في "تهذيب التهذيب" في ترجمة عبدالله ابن عباس بن عبدالمطلب، فائدة قال فيها:"روى غندر أن ابن عباس لم يسمع من النبيﷺ إلا تسعة أحاديث، وعن يحيى القطان: عشرة، وقال الغزالي في المستصفى: أربعة. قال الحافظ: وفيه نظر، ففي الصحيحين عن ابن عباس مما صرّح فيه بسماعه من النبيﷺ أكثر من عشرة، وفيهما مما شهد فعله نحو ذلك، وفيهما مما له حكم الصريح نحو ذلك، فضلاً عما ليس في الصحيحين" انتهى.

فتتبعت تلك الأحاديث في الصحيحين، وما عداهما من السنن والأجزاء، فوجدت من ذلك قدراً نافعاً، مع أني لم أدّع الحصر والاستيفاء، فأردت أن أجمعها في كراسة، ليسهل الوقوف عليها، وسمّيت هذه الرسالة. كشف الباس عما رواه.."أهـ.

وقد بلغ عدد الأحاديث التي ذكرها الشيخ محمد عابد- بتعداده هو- (٧٧) ولم يختم الرسالة، وكأنه كان كلّما وجد حديثاً أضافه في أوراق تلك الرسالة. وهذا العدد الكبير الذي وقف عليه الشيخ محمد عابد في هذه الرسالة يضاف كشاهد آخر على أدلة تبحّره في اطلاعه على كتب الأحاديث والأجزاء، الذي شهد له به كل من ترجم له.

٩- سُلافة الألفاظ في مسالك الحفّاظ: ذكر هذا الكتاب معزوّاً للشيخ محمد عابد صاحب هديه العارفين(١). ومعنى كلمة: سُلافة أي خلاصة.

---

(١) ينظر *فهرس التيمورية* ٣١٣/٢ قسم الحديث.

ولم أقف على هذه الرسالة أو عن شيء عنها، لكن كأن الشيخ محمد عابد يبيّن فيها مناهج وطرق الحفّاظ المحدّثين في تآليفهم المختلفة، والله أعلم.

١٠- إيجاز الألفاظ لإعانة الحفّاظ: ذكر هذا الكتاب وأنه من كتب الشيخ محمد عابد شارحُه العلامة الشيخ يحيى بن محمد بن الحسن الأخفش لقباً، العلوي الفاطمي نسباً، من تلاميذ الشيخ محمد عابد باليمن، حيث شرحه في كتاب سمّاه: " إدارة الألحاظ لحلّ إيجاز الألفاظ" وقد نقلتُ منه- باختصار- مقدمة الشيخ محمد عابد لكتابه هذا، وفيها ذكرٌ لسبب تأليفه له، وبيانٌ لموضوع الكتاب، وطريقة جمعه وعرضه، التي لم يسبقه إليها أحد، حيث قال: "..أما بعد: لما قلّ في زماننا حفّاظ الحديث، وصار الغالب على أهل عصرنا روايته من الدفاتر، وكان ذلك خلاف ما عليه السلف، فقد كان فيما مضى من يحفظ آلاف من الحديث، كحفظهم لسورة الإخلاص، وما كان ذلك فيهم إلا لأنهم حفظوا حرمة الله تعالى، وكانوا أشدّ توقيراً للشريعة المطهّرة، وزماننا لما كان الغالب على أهله الانهماكُ في الشهوات، والتعرّض للمعاصي، والاتباع للأهواء.. سلبهم الله ذلك النور الذهني، أعاذنا الله من بوائق العصيان.

وأنا كنت صرفت همّتي أيام حداثتي في الاشتغال بعلم السُنّة: قراءة ومطالعة وكتابة وجمعاً لكُتُبها، وكنت مبتلى بالنسيان الذي هو ثمرة العصيان.

(وقد) استخرت الله في جمع أحاديث ذوات العدد، يشملها إسناد واحد، ليسهل الحفظ لها ويهون الحصر لها فانشرح الصدر لذلكن وأسال الله التوفيق فيما هناك، وسميتّه: " إيجاز الألفاظ لإعانة الحفّاظ ".

وشرعت أولاً بأسانيد الإمام أبي حنيفة النعمان، ثم مالك، ثم الشافعي، ثم أحمد بن حنبل، ثم البخاري، ثم مسلم، ثم أتبعت ما أمكنني من الأسانيد بغير مراعاة للمتقدمين من المصنّفين، والله أسأل أن يجعل فائدة ما جمعته عامة على العلماء.

---

(١) ٢/٣٧٠.

ولما كان وضع الكتاب لأجل حفظ السند على غير قاعدة المصنّفين في ترتيب الأحاديث في أبوابها، فلابد أن أذكر إن شاء الله لكل حديث باباً يليق به" (أهـ) من مقدمة الشيخ محمد عابد.

والذي دلّني على شرح كتاب الشيخ محمد عابد هذا، وهو" إدارة الألحاظ" هو فهرس الخزانة التيمورية ١٧٣/٢، ثم يسر الله تعالى تصوير القطعة الموجودة منه في دار الكتب المصرية، بالقاهرة ، ضمن مجموع برقم (١٠٤٥) ميكروفيلم، من صفحة (٣٠٥) إلى آخر الفيلم، وهي عبارة عن (٢١) لوحة وفي كل صفحة (٣٧) سطراً.

وقد شملت هذه القطعة من بداية الشرح، وفيها شرح لمقدمة الشيخ محمد عابد للكتاب، مع شرح اثني عشر حديثاً من أحاديث الإمام أبي حنيفة رحمه الله، بالسند المتقدم الذكر، وبه تنتهي هذه القطعة.

وهكذا كشفت لنا هذه القطعة عظيم حقيقة كتاب الشيخ محمد عابد، وتفرده بهذه الطريقة اللطيفة في التأليف، التي "جاد بها، ولم يسبق إلى مثلها " كما قال الشارح الأخفش، بل كما قال الشيخ محمد عابد نفسه"على غير قاعدة المصنفين في ترتيب الأحاديث".

وقد أثنى الشارح على الكتاب- بعد ثنائه الكبير على شيخه الشيخ محمد عابد- فقال: "وكان مختصر شيخنا- إيجاز الألفاظ- مختصراً من أحسن المختصرات، ومؤلفاً من أجلّ المؤلفات" (أهـ). ويبدو أن الشارح كتب هذا الشرح في حياة شيخه الشيخ محمد عابد حيث قال بعد ذكره له: " تولى الله مكافأته، وأطال مدّته".

كما يظهر أن حجم الكتاب لا بأس به، إذ شملت هذه القطعة لسند واحد فقط من أسانيد الإمام أبي حنيفة اثني عشر حديثاً، مع احتمال وجود أحاديث لهذا السند، فكيف ببقية أسانيده، وكذلك أسانيد الإمام مالك، والشافعي وأحمد، والبخاري ومسلم وهكذا..إلخ.

وعسى بفضل من الله تعالى أن ييسر الوقوف على تمام هذا الكتاب، لإظهار هذه التحفة النادرة التي أهداها الشيخ محمد عابد لأهل العلم عامةً، ولطلاب الحديث الشريف وحفّاظه خاصة.

١١- مجالس الأبرار: رأيت في مجموع (١) غالبه للشيخ محمد عابد، وبخطه، جاء في آخره ثلاث لوحات، كتب في إحداها: هذا المجلس الثلاثون من مجالس الأبرار، وعلى اللوحة الأخرى كتب: مجلس الأبرار، بدون رقم.
ويبدأ كلٌ من هذين المجلسين بحديث نبوي من كتاب: " مصابيح السنة" (٢). ثم يعقبه شرحٌ لهذا الحديث، مع فوائد فقهية وحديثية ولغوية، وتسجيل أسئلة فقهية يسال عنها الشيخ، فيجيب عنها.

وخطُّ هذه المجالس قريب جداً من خط الشيخ محمد عابد، وكأنه مكتوب في المجلس على عجل، وأيضاً أسلوب الكتاب، وقوة العلم والفوائد فيها كأسلوب الشيخ محمد عابد وقوته، وعلى هذا يغلب على ظني أن هذين المجلسين من مجالس العلم التي كان يعقدها لشرح هذا الكتاب.

(ب) - مصنفاته في علم مصطلح الحديث

١- *شرح ألفية السيوطي في المصطلح:* أصل الألفية وعمل الإمام جلال الدين السيوطي، المتوفي سنة ٩١١ هـ رحمه الله تعالى، هو أن الإمام أبا عمرو بن الصلاح عثمان بن عبدالرحمن، المتوفي سنة ٦٤٣هـ صنّف كتابه المشهور المتداول: "علوم الحديث " الذي عكف عليه الناس، فمن ناظم له، ومختصر، ومستدرك، وشارح..

---

(١) في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة برقم ٨٢ شلبي.

(٢) للإمام المحدث الفقيه **الحسين بن مسعود البغوي** الفرّاء، صاحب (*شرح السنة*). المتوفى سنة ٥١٦ هـ وقيل: ٥١٠ هـ .

وكان ممن نظمه وزاد عليه الإمام الحافظ العراقي زين الدين عبدالرحيم بن الحسين، المتوفي سنة ٨٠٦ هـ رحمه الله تعالى، وذلك في ألفيته في مصطلح الحديث[١]، وعليها شروح، له ولغيره.

ثم جاء الإمام السيوطي، فكتب ألفيته في مصطلح الحديث، التي حاذى بها ألفية العراقي، وزاد عليها نكتاً غزيرة، وفوائد جمّة[٢]، وسمّاها : " نظم الدرر في علم الأثر " وله عليها شرح، سمّاه: "البحر الذي زخر في شرح ألفة الأثر" ولم يتم، وهو مخطوط[٣].

ثم جاء الشيخ محمد عابد فكتب شرحًا على ألفية السيوطي ، هذا ولم أقف عليه، لكن ذكره بنفسه في إجازته للعلامة إبراهيم ابن السيد حسين المخلص، وذلك عند ذكره لبعض مؤلفاته التي أذن له بروايتها عنه.

والإجازة هذه محفوظة في الحرم المكي، برقم (٤٢٦٤) مخطوط، ورقم (٤٢١٠) ميكروفيلم.

وأما عن حجم هذا الشرح، فإنه يغلب على الظن سعته، وأنه بنَفَسٍ طويل، إذ هو شرح لنظمٍ ضمَّ ألف بيت، في فنّ خبره الشيخ محمد عابد وأتقنه أيما إتقان.

(ج)- مصنفاته في الأسانيد والتراجم

١- *حصر الشارد من أسانيد محمد عابد:* هكذا جاء اسم الكتاب بخط المؤلف على طرة نسخته المودعة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، وهو

---

[١] أنبه هنا إلى أن ألفية العراقي في المصطلح سمّاها الكتاني في الرسالة المستطرقة ص ٢١٥ "نظم الدرر في علم الأثر" وكأنه سبق قلم منه، فهذا هو اسم ألفية السيوطي، كما جاء في مقدمة شرحه لها (مخطوط) في المحمودية برقم ٢٥٦)، أو أن اسمهما واحد.

[٢] الرسالة المستطرقة ص٢١٥.

[٣] كشف الظنون ١٩٦٣/٢، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، معلمة العلوم الإسلامية، لإياد خالد الطباع ص٣٥٢، ومن هذا الشرح نسخة في المحمودية بالمدينة المنورة برم (٢٥٦) وتاريخ نسخها ١٢٣٩هـ وعدد أوراقها (٤٦٠) من وقفيات الشيخ محمد عابد، وهي ليست بخطه، لكنه قابلها بأصولها، ثم رأيته مطبوعاً محققاً عام ١٤٢٢هـ.

ثبت في مجلد ضخم، جمع فيه أسانيده في غالب الكتب المعتبرة، حيث افتتحه بذكر أسانيده في القراءات السبع التي قرأ بها القرآن الكريم، وأخذ بها الإجازة من عمه الشيخ محمد حسين الأنصاري السندي.

ثم ذكر" أسانيد غالب الكتب المعتبرة التفسيرية والحديثية والفقهية والصرفية والنحوية والبيانية والمنطقية والطبية وغيرها، مجملاً ومفصّلاً، مرتباً أسماء الكتب على حروف المعجم"(١) . ثم سرد في آخر الثبت أسانيده في المسلسلات كلها، بأنواعها العديدة، التي أجيز بها من مشايخه.

وقد بلغ عدد الكتب التي ذكر أسانيده إلى مؤلفيها، وأجازه مشايخه بها- فيما أحصيته فيه- نحواً من (١٣٠٠)، كتاب، مع أنه لم يستوعب كل الكتب، ولا كل أسانيده. فقد ختم كتابه بقوله: " وهذا آخر ما يسّر الله تعالى من تجمعه في هذه الأوراق القليلة للأسانيد الجليلة، وقد أعرضت عن بعض أسانيد الكتب والمسلسلات التي ذكرتها، وأسانيد بعض الكتب التي لم أذكرها، رَوْما للاختصار، وفيما جمعته إن شاء الله تعالى كفاية تامة، ومنفعة عامة، للخاصة والعامة، ولولا تشوش البال، وكثرة العوائق والأشغال، لكنت أطلت المقال، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب..".

ثناء العلماء على كتاب " حصر الشارد " : لقد نال هذا الثبت العظيم القبول التام عند العلماء، وأثنوا عليه كثير الثناء، فقد وصل فيه الشيخ محمد عابد سنده وسند غيره من معاصريه وممن جاء بعدهم، فكان لهم اتصال في المسلسلات بصاحب المعجزات، وبورّاث النبوة والسادات، وفي الكتب المعتبرة بأصحابها الأئمة الثقات، وكان سبباً لتيسير ذلك كله على طالبي الإجازات.

---

(١) وهذا الوصف *لحصر الشارد*، إنما هو من كلام الشيخ محمد عابد في إجازته لتلميذه عبدالله البخاري (كوجك) مخطوط، وينظر حصر *الشارد* لوحة ٢١٢، *فهرس الفهارس* ٣٦٣/١.

ومن جملة الثناءات التي امتُدح بها هذا الكتاب، ما قاله عنه "عالم الجزائر، ومسندها المعمّر أبو الحسن علي ابن أحمد بن موسى(١): " هو الثبت الحافل، الذي لم يوجد له في الدنيا نظير ولا مماثل".

وقال عنه محدّث الحجاز ومسنده أبو الحسن علي بن ظاهر الوتري المدني الحنفي، المتوفي سنة ١٣٢٢ هـ رحمه الله تعالى، تلميذ المحدث الشيخ عبدالغني الدهلوي: " هذا الفهرس لا يوجد على ما نعلم أوسع منه وأصح" (٢).

وقال العلامة المؤرخ الشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي المكي، المتوفي سنة ١٣٥هـ رحمه الله، عن هذا الثبت بعد أن اعتبره ثبتين: " وهما كتابان نفيسان، لم يسمح الزمان بمثلهما"(٣).

وقال العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، المتوفى سنة ١٣٧١هـ رحمه الله تعالى: وله " حصر الشارد" من أنفع وأوسع الأثبات المؤلّفة في القرن الهجري السابق" (٤).

وقال عنه المحدّث العلامة السيد محمد عبدالحي الكتاني، وهو ابن بجدة فنّ الأثبات والأسانيد، المتوفى سنة ١٣٨٢هـ رحمه الله تعالى: " وعلى الشيخ محمد عابد المدار اليوم في هذه الصناعة، وهو إمام أهلها، وناهيك بحصر الشارد الذي لم يدون أحد في جيله ما يشبهه أو يقاربه في الجمع والتفنن والجرم، فجازاه الله عن السنة وأهلها خيراً" (٥).

---

(١) *فهرس الفهارس* ٣٦٤/١، نقلاً عنه، إذ هو من مشايخ السيد الكتاني.

(٢) *فهرس الفهارس* ٣٦٤/١ نقلاً عنه، إذ هو من مشايخه.

(٣) *فيض الملك المتعالي* ج٣ لوحة ٥٤.

(٤) في تقديمه لترتيب مسند الشافعي ص٧.

(٥) فهرس الفهارس ٣٧١/١.

النُّسخُ الخطية لكتاب حصر الشارد:

١- توجد نسخة المؤلف بخطه في المكتبة المحمودية، ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، برقم (٣٦٥) محمودية، وتاريخ نسخها وانتهاء المؤلف منها سنة ١٢٤٠هـ، في بندر المخا باليمن، وتقع في (١٥٤) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاتها (٢٩) سطراً.

وتوجد صورة ورقية عنها في مكتبة الحرم النبوي الشريف، برقم الحاسب الآلي (٥٤١٨)، والرقم الخاص (٢١٣/٤).

٢- كما توجد نسخة خطية أخرى، نسخت عن نسخة المؤلف، وقوبلت عليها، في مكتبة عارف حكمة، ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، برقم تصنيف (٢٣١/٣٨)، وتاريخ نسخها سنة ١٣٢٣هـ ، وتقع في (٣١٤) لوحة، ولم يذكر الناسخ اسمه، وهي التي عزوت إليها في الحواشي، وهناك نسخ خطية كثيرة منتشرة في مكتبات العالم.

٢- *روض الناظرين في أخبار الصالحين:* " ذكر هذا الكتاب بهذا الاسم الشيخ محمد عابد في مواضع عديدة من شرحه لمسند الإمام أبي حنيفة، محيلاً إليه، مصرحاً باسمه، منها ما جاء في "المواهب اللطيفة" [١]حين ذكر ترجمة أحد رجال سند الحديث الذي يشرحه، وهو الإمام التابعي الشهير سعيد بن جبير، وترجم له بنحو نصف لوحة، ثم قال: (وهو ذو مناقب كبيرة، وفضائل عديدة، وقد ذكرت فضائله في كتابي المسمى:" روض الناظرين في أخبار الصالحين" (أهـ).

وفي المواهب اللطيفة[٢] أيضاً، عند ذكره لترجمة رجل آخر من رجال سند حديث آخر يشرحه، وهو الإمام الأوزاعي الفقيه الشهير، وقد ترجم له بنحو

---

[١] ج١ لوحة ٣٠٢أ.

[٢] ج١ لوحة ٢٢٤أ.

نصف لوحة ثم قال: وقد استوفيت مناقبه في كتابي: "روض الناظرين في أخبار الصالحين" (أهـ).

وهكذا يظهر من هذين النصين أن الكتاب واسع جداً، كما عوّدنا الشيخ محمد عابد في غالب كتبه، فهو يترجم للراوي، بنصف لوحة، أي صفحة مخطوطة كاملة، ثم يحيل بعد هذا لاستيفاء مناقبه إلى كتابه: " روض الناظرين".

وذكره أيضاً الشيخ محمد عابد في إجازته [1] للعلامة الشيخ السيد إبراهيم ابن السيد حسين المخلص، ضمن مؤلفاته التي أجازه وأذن له بروايتها عنه.

ولم أقف على أثر للكتاب في المخطوطات، بعد بحثي الطويل عنه فيما تيسر لي. وإن إحالة الشيخ محمد عابد إلى هذا الكتاب في شرحه لمسند أبي حنيفة، يدل على أن تأليفه له كان مبكراً، حيث انتهى الشيخ محمد عابد من تسويد كتابه: المواهب اللطيفة سنة ١٢٣٢هـ. أما موضوع الكتاب ومحتواه، فعنوان الكتاب يد ل عليه، وكأنه على غرار" حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصفهاني.

٣- تراجم مشايخ الشيخ محمد عابد السندي، ومشايخهم وأحوالهم إجمالاً: هكذا جاء العنوان على المخطوط الذي وقفت عليه، مع أنه لم يترجم فيه الشيخ محمد عابد إلا لشيخ واحد له فقط، وهو العلامة الشيخ يوسف بن محمد بن علاء الدين المزجاجي، وبه استفتح التراجم، ثم جاءت بقية الصفحات لتراجم شيوخ شيوخه.

ثم انتهت صفحات المخطوط بترجمة شيخ شيوخه العلامة الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاني، المتوفي سنة ١٢٠١هـ ، وفي آخرها ذَكَر الشيخ محمد عابد بعض الآخذين عنه، ومنهم والده وعمّه رحمهم الله جميعاً.

---

[1] مخطوط.

وتاريخ هذه النسخة الخطية للكتاب ١٣١٤هـ ، ولم يذكر الناسخ اسمه، وكتب في الحاشية بخطٍ مغاير" إلى هنا وجد من خط المؤلف، وحصلت المقابلة، والحمد لله على ذلك" أهـ.

وهذه النسخة محفوظة في مكتبة الحرم المكي، ضمن كتب الشيخ عبدالستار الدهلوي برقم (٢٧٨٢عام)، وبرقم (٢٥٣٧) ميكروفيلم، وهي في (٦٩) صفحة، وفي كل صفحة (٢١) سطراً. وعنها صورة أيضاً في مكتبة الحرم النبوي الشريف، برقم الحاسب الآلي (٥٨٥٦) والرقم الخاص (٩٢٠/٣٤).

٤- مجموعة إجازات كتبها الشيخ محمد عابد السندي لبعض تلاميذه:

كتب الشيخ محمد عابد بخطه إجازات عديدة مفردة لعدد من تلامذته، سمّاهم في مقدماتها، وقد وقفت على مجموعة منها[١]، ويضيق المقام عن ذكرها.

المبحث الثالث: تقدّمه في علوم اللغة العربية وفنونها ومصنفاته

لقد أثنى العلماء العارفون بالشيخ محمد عابد على تقدمه في العلوم كلها، وأنه كان من المبرزّين فيها ومع هذه الشهادة العامة، جاءت شهادة خاصة على إتقانه لعلوم اللغة العربية، فقد قال العلامة الشوكاني حين ترجم له، بعد أن خبره وتتلمذ عليه الشيخ محمد عابد، وقرأ عليه في فنون كثيرة قال: "وكان له معرفة متقنة بالنحو والصرف"(أهـ).

وهذه الشهادة من الشوكاني كانت في حق الشيخ محمد عابد، وهو إذ ذاك شاب، في نحو الثالثة والعشرين من عمره، حين قرأ عليه في صنعاء سنة ١٢١٣هـ ، فكيف حاله في ذلك وقد شاب؟ ولا ريب أنه ازداد معرفة ودقة وإتقاناً.

ولشهرته بالنحو عدّه بعضهم من النحويين، كما في " مطمح الوجدان في أسانيد الشيخ عمر حمدان"[٢] عند ذِكْره رجال سند المسلسل بالنحاة.

---

[١] ينظر *المحمودية* مجموع برقم (٢٦٥٢)، مكتبة الحرم المكي (٥/٤٢٦٤).

[٢] *نزهة الخواطر* ٢٦٩/٧.

ووصفه تلميذه العلامة المحدث الشيخ عبدالحق العثماني البنارسي، في رسالته التي جمع فيها أسانيد شيخه الشيخ محمد عابد فقال: " وأما شيخنا الجليل الحامل لعلوم الخليل الشيخ محمد عابد..[١]". والخليل هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أحد أشهر أعلام أئمة اللغة والنحو والأدب، المتوفى سنة ١٧٠هـ ، صاحب كتاب: العين في كلام العرب، الذي أتى فيه بما لم يسبقه إليه أحد، وهو مخترع علم العروض، واستنبط علم النحو ما لم يُسبق إليه[٢].

ويظهر اهتمام الشيخ محمد عابد باللغة العربية، وعلومها وفنونها، وتحقيقاته العلمية فيها، من خلال كتاباته ومصنفاته الفقهية، وشروحه للكتب الحديثية، والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة، تظهر لكل من طالع فيها.

ومما وقفت عليه من مؤلفاته في الصرف، رسالة سمّاها ***(مناهج الصرفيين)*** في (١٣) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاتها (٢٤) سطراً، محفوظة في مكتبة الحرم المكي، برقم عام ٣١٧٨/ ٢. وختمت الرسالة بقوله: " كملت هذه الرسالة المسماة: بمناهج الصرفيين، ليلة الاثنين، خامس ربيع الأول سنة ١٢٥٢هـ ، على يد معرّبها محمد عابد بن أحمد علي بن شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري الخزرجي الأيوبي السندي، في المدينة المشرفة، والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا، محمد وآله وصحبه وسلم" أهـ.

وهي ليست بخط الشيخ محمد عابد، ولم يكتب اسم ناسخها. وقول الشيخ محمد عابد في آخرها: " كملت على يده معرّبها محمد عابد.." يدل على أن الرسالة كانت لمؤلف غيره بلغه أخرى، ثم قام هو بترجمتها إلى العربية.

إتقان الشيخ محمد عابد للغة الفارسية: مع تقدم الشيخ محمد عابد وإتقانه للغة العربية وفنونها، فكان متقناً للغة الفارسية أيضاً. ومما يدل على ذلك، أنه ترجم كتاب: " مناهج الصرفيين" من الفارسية إلى العربية، كما تقدم، وترجم

---

[١] له ترجمة في *إنباه الرواة* **للقفطي**(١/٣٧٦).

[٢] له ترجمة في *إنباه الرواة* **للقفطي** (١/٣٧٦).

أيضاً كتاب: " نافع الخلق في الطب" من الفارسية إلى العربية، حين طلب منه ذلك صديقه العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي، كما سيأتي ذكره قريباً عند الكلام عن حِذْقه في علم الطب.

كما يغلب على الظن إتقانه للغة آبائه وأجداده، لغة بلاد السند، إذ هي لغة خاصة مستقلة.

المبحث الرابع: إمامته في علم المناظرة

ويسمى علم آداب البحث[١] وصناعة التوجيه، وهو علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام والأدلة بين المتناظرين، من حيث إنها يثبت بها المدّعى على غيره، وبه يقتدر على معرفة الصواب وإظهاره، وبه تتكون ملكة عن المناظرة لمعرفة طريق المناظرة، لئلا يقع في الخبط، وليتضح له الصواب.

وقد كان الشيخ محمد عابد، كما وصفه تلميذه العلامة الشيخ عاكش، بأنه " الإمام النظّار السابق، الذي لا يُشَقّ له غبار"[٢].

وسبق ذكر ما كان عليه الشيخ محمد عابد من الذكاء المفرط، والفهم السريع الصحيح النادر، الذي تميز به حتى على العلماء العارفين الكبار في عصره.

المبحث الخامس: حذقه في علم الطب، ومصنفاته فيه

" لقد كانت للشيخ محمد عابد اليد الطولى في علم الطب، ومعرفة كتبه، وكان مقصوداً لأهل العلل، متطبباً حاذقاً، يباشر الأمر بنفسه"[٣]، ويرى العليل النفع ظاهراً، ويتقهقر المرض متأخراً.

وما إن رحل الشيخ محمد عابد السندي إلى اليمن واستقر في الحديدة، واشتهر بمعرفته لعلم الطب، وحذقه فيه، حتى طلبه إمام اليمن في صنعاء

---

[١] ينظر *مفتاح السعادة* **لطاش كبرى زاده** ١/١٨٠، *ترتيب العلوم* ص١٤١-١٤٢.

[٢] *حدائق الزهر، وعقود الجواهر والدرر*.

[٣] من كلام الشيخ **عاكش** تلميذ الشيخ محمد عابد في *حدائق الزهر، وعقود الجواهر والدرر*.

المنصور بالله سنة ١٢١٣هـ، [١]، طبيباً خاصاً له، "وكان يدنيه منه، ويقر له بالمعرفة الخارقة بالطب"[٢]، وكذلك كان يقر له بذلك ولده الإمام المتوكل.

ويلحظ هنا أن هذه الشهرة للشيخ محمد عابد في الطب، وحذقه وتقدمه فيه، وهو بعد إذ ذاك شاب في نحو الثالثة والعشرين من عمره حين رحل من مكة إلى اليمن.

ويصف تحقيقه في علم الطب العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي، في تقريظه لمنحة الباري، وهو يذكر علوم الشيخ محمد عابد وتفننه، فقال: " وبرَّز في كل فن منها، واشتهر بالحديث والطب، وحُمدت مباشراته لعلاج الأمراض، مع تحقيقه لكليات ذلك العلم وجزئياته" (أهـ).

ويظهر أن أستاذه وشيخه في علم الطب، هو عمه ووالده، فقد ذكر الشيخ إبراهيم الحوثي في تقريظه لمنحة الباري،" أن عمه الشيخ محمد حسين الأنصاري ووالده أحمد علي تعلّقا بعلم الطب والمباشرة للعلاج، فزادت شهرتهما، وقُصِدا لعلم الأبدان والأديان".

ومن مظاهر إتقانه لعلم الطب، أنه حين يتعرض للأحاديث الطبية في شرح مسند أبي حنيفة وغيره، تراه يفيض بمعارفه الطبية في شرح ما هو في صدده، ويذكر فوائد لا تجدها عند غيره وينقل من كتب قلَّ من يطلع عليها غيره.

ومن ذلك أنه لما جاء ذكر (الحمام) في كتابه المواهب اللطيفة[٣] قال: " وأما آداب دخول الحمّام على القواعد الطبية، فقد ذكرنا ذلك مفصلاً في رسالتنا المسماة: (الخير العام في أحكام الحمّام).

---

[١] *البدر الطالع* (٢/٢٢٧).

[٢] *درر نحور الحور العين* (مخطوط).

[٣] ١/١٥٦أ.

ومن اهتمامات الشيخ محمد عابد بعلم الطب وكتبه، ما حكاه عنه صاحبه وتلميذه الشيخ لطف الله الجحاف فقال(١): وهو- أي الشيخ محمد عابد- أول من أخرج إلى اليمن كتاب: " تحفة المؤمنين في الطب" (٢) وقال: هو أمتن كتاب في هذا العلم، لا يساميه كتاب، وحكى لنا أن مؤلفه خطّه بالفارسية، وإنما عُرِّب من بعده بأعوام، وأنه التزم في المفردات والمركبات لازماً، ولم يقلد السابقين في تجربتهم، حتى خبر ما جربوه، فإن كان صدقاً جزم به، وقال: مجرب، وإن لم يصدق عنده، قال: جربوه، أو قال: نحو هذه العبارة.

وأرانا في آخر كتابه ما ضنّت به الحكماء، ولم يظهروه، وكتبوه بالقلم اليوناني، ولم يسمح لنا ببيانه، حتى وقفنا على ذلك القلم وتعريبه بخط إبراهيم العجمي، الخارج إلى اليمن سنة ١٢١٤هـ " أهـ.

ومما وقفت عليه من مؤلفات الشيخ محمد عابد في علم الطب، رسالة سماها" فك المحنة بمعالجة الحقنة" تكلم فيها بتوسع عن المعالجة بالحقنة، وطريقتها وفوائدها، وهي بخطه الدقيق الوسط في سبع لوحات، في كل صفحة منها (٣٧) سطراً، حررها في جمادى الآخرة، سنة ١٢٣٨ هـ في صنعاء المحمية.

وهي محفوظة في المكتبات الوقفية في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مكتبة (سافزلي)، ورقمها (٩٥٩) ساقزلي. وقد قال في مقدمتها: لما كان من فنون المعالجة التداوي بالحقنة، وكانت ذا منقبة عظيمة وفائدة

---

(١) *دور نحور الحور العين* (مخطوط)، *نيل الوطر* ٢/٢٨٠.

(٢) ذكره *البغدادي* في *إيضاح المكنون* (١/٢٦٠، وفي *هدية العارفين* ٢/٨٣٠٨، وهو باللغة الفارسية، من تأليف **محمد بن مؤمن بن محمد زمان الحسيني** التنكابني الديلمي المارندراني، الطبيب الشيعي، المتوفى في حدود سنة ١١١٠هـ ، وهو في مجلد كبير، ألفه لسليمان شاه الصفوي.

جسيمة، ورأيت بعض الناس في زماننا قد تعلّقوا بها، وكلما أتاهم عارض وصفوها، وبادروا إليها، وهي لاشك أنها جليلة الفائدة، لأنها تُسرع بذوبان الأخلاط الجامدة، وتجذب المواد المتصاعدة، وتفرج الكرب عن العليل في أسرع الأوقات، وتؤمنه من ذوق بشاعة الدواء، وشمّ الروائح الكريهة في سائر الحالات، أردت أن أجمع فيها فوائد مما لا يستغني عنها اللبيب، ويحتاج إليها كل عليل وطبيب، مستعيناً بالملك المعبود، فإنه مفيض كل خير، ومهيء كل مقصود" أهـ.

ومن الرسائل التي تعتبر من مصنفّاته في علم الطب، رسالة ترجمها الشيخ محمد عابد من الفارسية إلى العربية، اسمها: "نافع الخلق في الطب" ترجمها لصديقه الشيخ إبراهيم بن عبدالله الحوثي، وهي منسوخة بتاريخ ٥ رمضان سنة ١٢١٧هـ بخط الشيخ إبراهيم الحوثي في (١٧) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاتها (٢٦) سطراً.

وتوجد نسخة منها في المكتبة الغربية في الجامع الكبير في صنعاء، ضمن مجموع برقم (١١) طب، وهي أول رسالة منه، من صفحة (١) إلى (١٧).

وقد ألّفها باللغة الفارسية عبدالفتاح المخاطب من الرسول الأمين بخواجه عبدالله نمكين... كما جاء في مقدمة الرسالة(١).

الخاتمة

وفي نهاية هذه الرحلة المباركة مع هذا الإمام الفذّ العظيم الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، أقول: الحمد لله الذي يسر لي هذا، ووفقني إليه، وأعانني عليه، وما ذلك إلا بمنّه وفضله جلّ وعلا، فبنعمته تتم الصالحات.

---

(١) استفدت هذه المعلومات عن هذه الرسالة من مؤسسة الملك فيصل الخيرية للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض جزاهم الله خيراً.

وقد كشفت لنا هذه الدراسة عن كنوز مخبآت، وعن جواهر ثمينة، ودرر يتيمة، قلَّ من عاينها واطلع عليها، فأبهج بجمالها، وشنّف سمعه بسماع أخبارها.

ورأينا مكانته العالية المرموقة بين علماء عصره، فقد كان مرجعهم العلمي، الذي يفزعون إليه في حلّ عويصات مسائل العلم، وهذا قبل أن يكون رئيساً لعلماء المدينة المنورة، وأما بعد فمن باب أولى.

وتم التعرّف على أسماء وأخبار شذرة كريمة عن شيوخ الشيخ محمد عابد وتلاميذه، والذين يمثّلون فترة زمنية علمية، لم تحظ بدراسة وافية تؤدي حقّها.

كما تم الوقوف على صور لافتة للنظر فخراً وإعجاباً، من نشاط الشيخ محمد عابد العلمي، مما له أثر كبير في شحذ الهمم، وتقوية العزائم.

وهكذا عرفنا إمامته في علوم كثيرة، وبالأخص علم الفقه وعلم الحديث، وكونه طبيباً حاذقاً ناجحاً للغاية.

ففي الحديث كان آية باهرة في حفظه واستحضاره، فإذا ما حدّث من ذاكرته فكأنما يملي من كتاب، وكان يُقرئ الكتب الحديثية الستة في الحرم النبوي في شهر واحد رواية، ودراية في ستة أشهر.

وفي علوّ إسناده كان فريداً، فبينه وبين الإمام البخاري صاحب الصحيح تسعة رجال، ولذا كان يقول: لمثلي فليُسْعَ؛ لأن بيني وبين البخاري تسعة.

وكان من أبرز أعمال هذه الرحلة مع هذا الإمام العلم، زيارتنا لمكتبته العامرة العظيمة النادرة، التي وقفها على المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، والتي لازالت عامرة يستفاد منها، تبتسم لناظرها ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

وقد أهدت إلينا هذه الرسالة تُحفاً من مصنّفات الشيخ محمد عابد، وآثاره العلمية النادرة في مثالها، والتي لازالت حبيسة دور المخطوطات، تنتظر من

يحنو ويعطف عليها لإبرازها، ونشر نُوْرِها ونَورها الفوّاح. ومن أعظم هذه التّحف:

١- طوالع الأنوار شرح الدر المختار (في فقه السادة الحنفية) هذه الموسوعة الفقهية الضخمة، التي بلغت عدد لوحات إحدى نسخها عشرة آلاف لوحة.

٢- المواهب اللطيفة شرح مسند الإمام أبي حنيفة. وهو من أعظم شروح المسند، ويقع في أزيد من ألف لوحة مخطوطة.

٣- معتمد الألمعي المهذّب، في حَلّ مسند الإمام الشافعي المرتب، ويقع في أزيد من خمسمائة لوحة مخطوطة.

٤- منحة الباري في جمع روايات صحيح البخاري (٥٠٠) لوحة مخطوطة.

وهو كتاب ليس له مثيل، ولم ينسخ أحدُ على منواله. وغيرها من مؤلفاته الكثيرة، والتي كان منها رسائل فريدة في بابها.

وكان من أبرزها ما يطالعه القارئ في هذه الترجمة تلك الجهود الفقهية التي قام بها الشيخ محمد عابد، والوقوف على منهجه الفقهي الذي كان عليه، وسعة صدره في مسائل الخلاف، فهو حنفي مقلد لمذهب السادة الحنفية، مع اهتمامه الشديد بالأدلة، ولكنه إذا ما بدت له قوة أدلة مذهب آخر في مسألة معينة، تراه يرجّح ما رجّحه الدليل، مع كل أدب واحترام لرأي غيره.

وهكذا فأنا على يقين، أنه لو تهيأت الأسباب والظروف أكثر من هذا لدراسة مؤلفات هذا الإمام العظيم دراسة وافية متأنية، وبعمق ودقة، لظهر لنا من العلوم والمنح والمواهب عنده أكثر بكثير مما وقفنا عليه، مما لا يمكن إبرازه بهذه الدراسة العجلة، والحمد لله على كل حال.

هذا، وأسأله سبحانه المزيد من فضله العظيم، والإخلاص والتوفيق في أعمالي كلها، مع العفو والعافية والقبول والسداد والتيسير، إنه برّ رحيم جواد كريم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)، **القِنَّوجي، صديق بن حسن خان** ، ت ١٣٧٠هـ ، دار الكتب العلمية بيروت.

إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان، **الفاداني** ، **محمد ياسين**، ت١٤١٠، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

إجازة الشيخ محمد عابد لتلميذه عبدالله البخاري (كوجك)، **السندي**، **محمد عابد** (مخطوط).

إجازة الشيخ محمد عابد للشيخ السيد إبراهيم ابن السيد حسين المخلص، **السندي** ، **محمد عابد** (مخطوط).

إخراج زكاة الحبّ بالقيمة، **السندي**، **محمد عابد** (مخطوط).

إدارة الألحاظ لحلّ إيجاز الألفاظ، **الأخفش** ، **يحيى بن محمد** (القرن الثالث عشر)، (مخطوط).

الأربعون البلدانية، **الفاداني محمد ياسين** ، ت١٤١٠هـ ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١٤٠٧/٢هـ.

الأعلام ، **الزركلي**، **خير الدين** ، ت١٣٩٦- دار العلم للملايين، بيروت، ط١٩٨٤/٦م.

إلزام عساكر الإسلام بالاقتصار على القَلَنْسُوَة طاعة للإمام، **السندي**، **محمد عابد** (مخطوط).

الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي: معلمة العلوم الإسلامية، **الطباع إياد خالد** ، دار القلم(سلسلة أعلام المسلمين ٦٤)، دمشق ١٤١٧هـ.

الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث، **قوتلاي** ، **خليل** ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٨هـ.

إنباه الرواة على أنباء النحاة، **القفطي، علي بن يوسف**، ت٦٢٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

ايجاز الألفاظ لإعانة الحفاظ، **السندي، محمد عابد** ، (مخطوط مع شرحه: إدارة الألحاظ).

إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون، **البغدادي، إسماعيل بن محمد باشا البابانى** ، ت١٣٣٩، صورة عن طبعة استانبول، دار الفكر، بيروت،١٤٠٢هـ.

البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، **الشوكاني، محمد بن علي**، ت١٢٥٠هـ، دار المعرفة، بيروت.

تذكرة الحفاظ، **الذهبي، محمد بن أحمد**، ت٧٤٨، تصحيح عبدالرحمن المعلمي، دار الفكر، بيروت.

تذكرة مشاهير السند، **الوفائي، دين محمد**، حيد آباد السند، ١٤٠٧هـ.

تراجم شيوخ محمد عابد السندي، ومشايخهم، **السندي، محمد عابد** ، (مخطوط).

ترتيب العلوم ، (ساجقلي زاده) **المرعشي محمد بن أبي بكر** ، ت١١٤٥هـ، تحقيق محمد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

ترتيب مسند الإمام أبي حنيفة، **السندي، محمد عابد** (مخطوط).

ترتيب مسند الإمام الشافعي، **السندي، محمد عابد** (مخطوط).

تغيّر الراغب في تجديد الوقف الخارب، **السندي، محمدعابد** ،(مخطوط).

تفسير البيضاوي، *(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)* **البيضاوي، عبدالله بن عمر**، ت٦٨٥، الطبعة العثمانية ١٣٢٩هـ ، تصوير دار الجيل، بيروت.

رسالة في تقبيل الصحابة رضي الله عنهم يدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه الشريف، وحكم التقبيل عامة، **السندي، محمد عابد** ،(مخطوط).

التّقصار في جيْدِ زمن علامة الأقاليم والأمصار (خاص بترجمة الإمام الشوكاني) **الشجني، محمد بن الحسن** ت١٢٨٦(مخطوط). في عارق حكمت بالمدينة.

تنسيق النظام في مسند الإمام (شرح مسند الإمام أبي حنيفة برواية الحصكفي)، **السنبهلي، محمد حسن** ، ت ١٣٠٥هـ (طبعة حجرية)، مير محمد كتب خانة، كراتشي، باكستان.

تيسير الوصول إلى جامع الأصول، **ابن الدَّيبع الشيباني عبدالرحمن بن علي**، ت٩٤٤هـ، مكتبة دار التراث، القاهرة.

حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) **ابن عابدين محمد أمين بن عمر**، ت١٢٥٢، طبعة بولاق وطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢/ ١٤١٣هـ.

حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان العصر، **الضمدي، حسن بن أحمد** ، الملقب بعاكش، ت١٢٨٩، (مخطوط) ومطبوع بتحقيق إسماعيل بن محمد البشري، صنعاء، اليمن، ١٤١٣هـ.

حصر الشارد من أسانيد محمد عابد، نسخة المؤلف من المحمودية، ونسخة أخرى من مكتبة عارف حكمه- **السندي، محمد عابد** (مخطوط).

الحُظ الأوفر لمن أطاق الصوم في السفر، **السندي، محمد عابد** (مخطوط).

رسالة في حكم الطعام في مناسبات الفرح أو الترح أو نحو ذلك، **السندي، محمد عابد** (مخطوط).

الدر المختار شرح تنوير الأبصار، **الحصكفي، محمد بن علي**، ت ١٠٨٨هـ = حاشية ابن عابدين.

تدرر نحور الحور العين في سيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين (المنصور هو حاكم صنعاء) **الجَحّاف ، لطف الله بن أحمد** ، ت١٢٤٣هـ، (مخطوط وصورة منه في جامعة الملك سعود بالرياض) .

دفينة المطالب للطالب والراغب، (أناجيل المفتين)، **الأنصاري، محمد بن مراد بن محمد يعقوب السندي** ، ت١١٩٨هـ، (مخطوط في المحمودية بالمدينة).

الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُّنّة المشرّفة، **الكتاني محمد بن جعفر** ، ت ١٣٤٥، تقديم وفهرسة محمد المنتصر الكناني، دار البشائر الإسلامية، بيروت ط٤/ ١٤٠٦هـ.

سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، **المرادي، محمد خليل بن علي**، ت١٢٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، دار ابن حزم، بيروت، ط٣/ ١٤٠٨هـ.

سير أعلام النبلاء، **الذهبي، محمد بن أحمد**، ت٧٤٨هـ ، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة، بيروت ط٢/ ١٩٨٢م.

شرح تفسير ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم من تفسير البيضاوي، **السندي، محمد عابد** ، (مخطوط).

شفاءُ قلبِ كل سؤال في جواز من تسمّى بعبد النبي وعبدالرسول، **السندي، محمد عابد** ،(مخطوط).

شهيُّ النَّغَم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم، **اللآلوسي، محمود بن عبدالله**، ت ١٢٧٠هـ، تحقيق محمد العيد الخطراوي، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ومؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٤٠٣هـ.

طوالع الأنوار شرح الدر المختار، **السندي، محمد عابد** (مخطوط).

عقود الجواهر والدرر في تراجم أعين القرن الثالث عشر، **الضمدي، حسن بن أحمد** ، الملقب بعاكش، ت ١٢٨٩هـ، (مخطوط).

علماء نجد خلال ثمانية قرون، **البسام ، عبدالله بن عبدالرحمن** ، دار العاصمة، الرياض ط٢/ ١٤١٩هـ.

غُنْية الزكي في مسألة الوصي، **السندي، محمد عابد** (مخطوط).

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، **ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي**، ت٨٥٢هـ، المكتبة السلفية، دار الفكر، ونسخة (مخطوطة في المحمودية بالمدينة).

فتح القدير شرح الهداية، **ابن الهمام محمد بن عبدالواحد**، ت ٨٦١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فك المحنة بمعالجة الحقنة، **السندي، محمد عابد** ، (مخطوط).

فهرس الخزانة التيمورية، القاهرة ١٩٧١م.

فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات، **الكتاني محمد عبدالحي بن عبدالكبير**، ت ١٣٨٢هـ، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط٢/ ١٤٠٢هـ.

فهرس مخطوطات قصر طوب قابي سراي، استانبول، تركيا، ١٩٦٤م.

فيض الملك المتعالي بأبناء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي، **المكي، عبدالستار بن عبدالوهاب الصديقي الدهلوي** ، ت١٣٥٥هـ، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي بمكة).

القاموس المحيط، للفيروز آبادي، **محمد بن يعقوب**، ت ٨١٧هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧١هـ.

قواعد في علوم الحديث، **التهانوي، ظفر أحمد العثماني** ، ت١٣٩٤هـ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤٠٤هـ.

القول الجميل في إبانة الفرق بين تعليق التزويج وتعليق التوكيل، **السندي، محمد عابد**، (مخطوط في المحمودية بالمدينة).

القول السديد بتعليق الوكالة بالتقييد، **صابر، محمد**(من علماء القرن الثالث عشر)، (مخطوط في المحمودية بالمدينة).

كشف الباس عما رواه ابن عباس مشافهة عن سيد الناس صلى الله عليه وسلم، **السندي، محمد عباد** ، (مخطوط).

كف الأماني عن سماع الأغاني، **السندي، محمد عباد** ، (مخطوط).

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، **حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله**، ت١٠٦٧هـ، صورة عن الطبعة التركية ١٣٦٠هـ.

لسان الميزان، **لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي**، ت٨٥٢ (مخطوط في المحمودية بالمدينة).

مجالس الأبرار، **السندي، محمد عباد**، (مخطوط).

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، **نور الدين، علي بن أبي بكر**، ت٨١٧ (مخطوط في المحمودية بالمدينة).

مختصر نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر،، اختصار: محمد سعيد العمودي المكي ، ت١٤١١، وأحمد علي بن أسد الله الكاظمي المكي، ت ١٤١٣هـ، والأصل من تأليف **أبو الخير، عبدالله ميرداد** ، ت ١٣٤٣هـ، طبعة النادي الثقافي بمكة المكرمة، سنة ١٤٠٥هـ ، وطبعة دار المعرفة، بيروت ط٢/ ١٤٠٦.

مسند الأنام في مُسند الإمام (أبي حنيفة) (شرح ملا علي القاري) ، **القاري علي بن سلطان** ، ت ١٠١٤هـ، (مخطوط) وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٠٥هـ.

معتمد الألمعي المهذّب في حلّ مسند الإمام الشافعي المرتّب، **السندي، محمد عابد** (مخطوط).

معجم *البلدان*، **الحموي، ياقوت بن عبدالله** ، ت٦٢٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ نشر.

معجم *الشيوخ* (رياض الجنة أو المدهش المطرب)، **الفاسي، عبدالحفيظ بن محمد الطاهر بن عبدالكبير**، ت١٣٥٠هـ، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، ١٥٣٠.

مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، **الشربيني محمد بن أحمد**، ت٩٧٧هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ نشر.

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده **مصطفى** ، **أحمد بن** ، ت ٩٦٨هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث، **النعماني، محمد عبدالرشيد** ، ت١٤٢٠هـ، اعتنى به عبدالفتاح ابو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٤/ ١٤١٦هـ

منال الرجاء في شروط الاستنجاء، **السندي، محمد عابد** ، (مخطوط).

مناهج الصرفيين، **السندي، محمد عابد** ، (مخطوط).

منحة الباري في جمع روايات صحيح البخاري، **السندي، محمد عابد** ، (مخطوط).

المواهب اللطيفة في شرح مسند الإمام أبي حنيفة، **السندي، محمد عابد** ، (مخطوط).

نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام) **الحسني** ، **عبدالحي بن فخر الدين** ، (ت١٣٤١هـ)، نشر: طيب أكاديمي، باكستان، ١٤١٣هـ.

نزهة رياض الإجازة المستطابة بذكر مناقب المشايخ أهل الرواية والإصابة، **المزجاجي عبدالخالق بن علي** ، (ت١٢٠١هـ)، تحقيق مصطفى عبدالكريم، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ.

نظم الدرر في علم الأثر (ألفية السيوطي في المصطلح)، **السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن**، ت٩١١هـ، (مخطوط المحمودية بالمدينة).

نظم الدرر مختصر نشر النَّوْر والزّهر، **المكي، عبدالله بن محمد غازي**، ت١٣٦٥هـ، (مخطوط في مكتبة خاصة).

النَّفَس اليماني في إجازة القضاة بني الشوكاني، (وفيه أجاز أولاد العلامة الشوكاني، وهم: علي وأحمد ويحيى)، **الأهدل، عبدالرحمن بن سليمان** ، (ت١٥٢٠م)، مركز الأبحاث والدراسات اليمنية ١٩٧٩م.

نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، **اليمني محمد بن محمد بن زبارة الحسني** ، ت١٣٨٠هـ، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، **الباباني، إسماعيل باشا البغدادي بن محمد أمين** ، ت ١٣٣٩هـ، صورة عن طبعة إستانبول، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبدالغني (الدهلوي)، **التُّرْهتي محمد بن يحيى** ، (ت١٢٩٣هـ) تقريباً، (مخطوط)، وهو مطبوع أيضاً في حاشية، كشف الأستار عن رجال منعاني الآثار، لرشد الله السندي. طبعة حجرية في باكستان، بدون تاريخ نشر.

Al-Imam Al- Shaikh M. Aabid Al- Sendi Al-Ansari and his Scientific and Feqhia Efforts

Saed Myahya Bokdash

Associate prof., Dept. of Arabic and Islamis Studiesr
College of Education, King Abdulaziz
University, Jeddah, Saudi Arabia

Abstract. This study is resplendent illuminating account on the academic and professional life of one of the most eminent figures of Al-Madinah Al-Munawwarah. He was Imam, memorizer of the Holy Qur'an, interpreter, outstanding scholar, linguist and a skilled clever physician; sheikh mohammad abid Al- sindi AlAnsari, AlAyoubi. He was born in Alsind in about 1190 H and died in Al- Madinah Al-Munawwarah in 1257 H. He was the chief of the learned men of Al-Madinah Al-Munawwarah in his time.